

وصايا الهداء عند الأمهات في التراث
العربي حتى القرن الرابع الهجري
دراسة في تحليل الخطاب

د. خلود إبراهيم العموش

الجامعة الهاشمية

وصايا الهداء عند الأمهات في التراث العربي حتى القرن الرابع الهجري دراسة في تحليل الخطاب

د. خلود إبراهيم العموش

الملخص

تناولت هذه الدراسة الخطاب في ست من وصايا الهداء عند الأمهات في التراث العربي حتى القرن الرابع الهجري، متوسلة بمنجزات منهج التحليل النقدي للخطاب. والمقصود بوصايا الهداء تلك الوصايا التي كانت توجهها الأمهات للبنات خاصة دون الذكور قبيل زفافهن، والمصطلح في الغالب مأخوذ من الهداية بمعنى الرشاد.

وقد جلى البحث تفاصيل عملية الاتصال والتلقي في هذه الوصايا، وكشف عن الإستراتيجيات الخطابية التي اتبعتها الأمهات في سبيل إنجاح رسائلهن اللغوية بغرض تحقيق حياة أسرية هانئة لبناتهن. كما حاول البحث أن يقف على الأنساق الثقافية والاجتماعية الثاوية خلف التراكيب اللغوية في هذا الخطاب في مسألة الزواج عند العرب القدامى.

وخلص البحث إلى وجود سمات لغوية خاصة تميز هذا الخطاب، واعتماده بصورة كبيرة على الإستراتيجية التوجيهية المباشرة التي تمثلت في سلسلة من الأوامر والنواهي المشفوعة بالتعليل غالباً، إذ يختلط التوجيه بالإقناع، وعبر قائمة متنوعة من الأشكال والمؤثرات اللغوية لإحداث حركة الوعي بمضمون الخطاب. وكشف تحليل الخرائط الإشارية والإحالية عن محورية الزوج في هذه الوصايا؛ مما يعكس مكانته في مؤسسة الزواج عند العرب في زمانهم القديم، لدرجة أن تصوّر المرأة فيها أمةً خالصة في فلك زوج.

الكلمات المفتاحية: وصايا الهداء، تحليل الخطاب.

Female Parents' Al-Hidaa' Commandments in the Arab Heritage up to the Fourth Hijri Century

A Study in Discourse Analysis

Abstract:

This study addresses a six-commandment female-parents discourse taken from the Arab Heritage up to the Fourth Hijri century by drawing on the approaches of Discourse Analysis. These are Al-Hidaa' commandments that female parents used to offer to their daughters, rather than their sons, just before their wedding day. The term Al-Hidaa' is likely to be morphologically derived from the Arabic word Al-Hidayata, i.e., guidance.

The paper highlights in detail the production and reception processes in these commandments, and the discursial strategies followed by female parents as to communicate over their linguistic messages, with the view of assisting their daughters to have happy marriages. As far as marriage for Ancient Arabs is concerned, the paper also identifies the social and cultural patterns that lurk behind the linguistic structures in such a kind of discourse.

The study makes the conclusion that such a discourse has its own characterizing features, and that most female parents' commandments depend on the direct-message strategy, represented in releasing a series of orders and warnings

supported often with justifications, where directing a message is fused with persuasion, and through various linguistic forms and effects as to initiate consciousness to the content of the discourse, e.g., warning, diminutive, vocative, syntactic parallelism, and through focusing on the recipient's social authority, i.e., the tribal affiliation, etc.

Analysis of sign and reference maps relevant to these commandments reveals that marriage constitutes their point of departure, as every instruction or directive revolves and is linked to it. This reflects the special status that Arab men enjoyed in their wedlock relationships in their ancient time, to the extent that a woman is portrayed as just a slave in the orbit of such a wedlock.

Key words: Al-Hidaa' Commandments, Discourse Analysis

المقدمة:

تعد الدراسات المتصلة بالخطاب وصفاً لفعل اللغة في الحياة وفعل الحياة في اللغة، وقد كانت لسانيات الخطاب فتحاً كبيراً تجاوزنا معه الوقفة الثابتة عند حدود الجملة، وانطلاقاً من ضيق الجملة إلى سعة الخطاب بأجناسه وأنماطه المختلفة، وأمکننا بها (دراسات تحليل الخطاب) أن ندرس بشكل منهجي رسائلنا اللغوية وما تحمله في صلبها من خطابات في طور الاستعمال، آخذين بعين الاعتبار أطراف التخاطب ومقاصد الخطاب وظروف الزمان والمكان التي تنجز فيها هذه الرسائل، وأصبح اهتمامنا الرئيس أن نكشف عن الطريقة التي يحقق بها النص أغراضه التداولية، وأن نكشف عن التناسب بين بنية النص وظروف إنجازها، وأن نكشف كذلك عن «الطاقة الدلالية التي يحتزنها النص عبر ممكنات التأليف داخله»^(١)، هذه الطاقة التي تغير حياتنا في كل جوانبها وتعيد تشكيلها ثانية؛ ذلك أن اللغة هي «مفتاح الوعي بالعالم وذاكرته القريبة والبعيدة من جهة، وهي أرقى الأنساق وأكثرها قدرة على التعبير عن مكونات الذات من جهة ثانية، وهو ما يمنح اللسانيات، باعتبارها علماً مستقلاً، موقعاً مميزاً داخل سجل المعرفة الإنسانية؛ فهي وعاء كل الإبدالات التي عممت لتشمل الحقول المعرفية كلها»^(٢)؛ وبذا فهي جسراً في التفاعل مع مكونات الوجود وإعادة صياغته من جديد.

وهذا البحث يتوسل بمنجزات «تحليل الخطاب» في دراسة ضرب من الوصايا عرف في التراث العربي باسم «وصايا الهداء»؛ أي وصايا الزفاف. وتعد الوصايا من الأشكال النثرية الشائعة في الآداب المختلفة، بل إن أحد الباحثين لا يظن أن «أدباً من الآداب يخلو من الوصايا في أي عصر من العصور»^(٣)، وترى سهام الفريح أن الحضارة العربية الإسلامية حفلت أكثر من أية حضارة

أخرى بالوصايا ؛ نظراً «لطبيعة الحياة العربية التي تقوم على الترحل؛ مما يستدعي أن يترك الحاضر للغائب كلمة ما... في مجتمع يحتفظ بالسيادة لذوي الأسنان والتجربة»^(٤). وقد ظفرت الوصايا بعناية بعض المصنفين القدامى، ووجدنا لديهم مؤلفات متخصصة بهذا الفن^(٥)، كما وجدنا القليل من الدراسات الحديثة التي أفردته بالدرس والتحليل^(٦).

ويعود اختيارنا لموضوع الوصايا عموماً ووصايا الهداء على وجه التعيين إلى تفرّد الوصية، من بين الفنون الأدبية، «في دلالتها النفسية والاجتماعية والفكرية»^(٧)؛ إذ تعد «سجلاً صادقاً لأنماط العلاقات الأسرية والاجتماعية، وانعكاساً حياً لتطور القيم والأفكار، وقرائن صادقة للمواقف التي وجهت هذه الوصايا وحكمت أسلوبها وأهدافها»^(٨)، إضافة إلى أن دراسة الخطاب في هذه الوصايا يمكن أن يقفنا على الأنساق الاجتماعية والفكرية الثابتة خلف تلك النصوص، والتي تعكس رؤية العرب لمسألة الزواج في زمانهم القديم، وربما فسّرت جوانب من الموروث الذي تتكئ عليه ممارساتهم في هذه المسألة في زمانهم الحديث.

وتعود أهمية هذا الاختيار كذلك إلى أن وصايا الهداء لم تظفر بتحليل متكامل، في حد علمي، يحيط بكل ما تعكسه الأبنية اللغوية من أنساق اجتماعية وثقافية، على أهمية ما أنجز في الوصايا من دراسات في عصرنا هذا، وأن وصايا الهداء لم تظفر بدراسة مستقلة وإنما جاءت موضوعاً فرعياً في الدراسات المنجزة في الوصايا عموماً^(٩)، وأن إنجاز المزيد من الدراسات التطبيقية في حقل تحليل الخطاب يعد أمراً مطلوباً؛ فهو حقل معرفي قد فرض حضوراً واسعاً في الدرس اللغوي الحديث لثماره التي لا يمكن تجاهلها، والتي لعل أهمها أنها تساعدنا على فهم أفضل لمناطق هامة من الوجود الإنساني بأبعاده الفردية والاجتماعية ظلت مهملة لوقت طويل لوجودها خارج دائرة التصنيفات المعرفية

التقليدية في اللسانيات. كما أنه حقل متفرد في طرائقه وأدواته وغاياته، وهو يَفِيدُ بصورة تراكمية مذهلة من المنجز الإنساني كله في الحقل اللغوي والعلوم المتصلة به.

ويتنغي هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف تجري عملية الاتصال في هذا الضرب من الخطاب وما أغراضها؟
- وما السمات اللغوية العامة لوصايا الهداء عند الأمهات؟
- وما الإستراتيجيات(*) الخطابية التي اتبعتها الأمهات في وصاياهن لبناتهن؟
- وما الأدوات اللغوية التي ترجمت فيها الأمهات هذه الاستراتيجيات الخطابية؟
- وأخيراً ما المعنى الذي يمكن بناؤه من خلال تحليلنا لهذا الضرب من الخطاب؟ وأي أنساق فكرية واجتماعية وثقافية تنوي خلفه؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ائتلف البحث من العناوين الآتية:

- أولاً: في حد المصطلح، في حدود المنهج:
 - أ. الوصية لغة واصطلاحاً.
 - ب. وصايا الهداء لغة واصطلاحاً.
 - ج. في حدود المنهج.
- ثانياً: عملية الاتصال في وصايا الهداء.
- ثالثاً: وصايا الهداء عند الأمهات في التراث العربي.
- رابعاً: إستراتيجيات الخطاب في وصايا الأمهات (الشعرية والنثرية)
- الخاتمة والنتائج.

أولاً: في حد المصطلح، في حدود المنهج:

أ. الوصية لغة واصطلاحاً:

الوصية لغة تدور على: العهد، والأمر، والفرض^(١٠)، والوصل^(١١). والاسم: الوصاة، والوصاية، والوصاية، والوصية^(١٢)، وأنشد الليث^(١٣):

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي يَزِيدًا وَصَاةً مِنْ أَخِي ثِقَّةٌ وَدُودٌ

ويؤخذ من البيت، إضافة إلى البنية الصرفية (وصاة) ومعناها، أن الوصية في المعتاد المؤلف تصدر عن ذي الثقة المحب، وهي لفظة تهمنا في مثل هذه الدراسة. أما العهد الذي تأتي الوصية بمعناه فهو: «رد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، هذا أصله، ثم استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته»^(١٤). وعدت الوصية وصلاً للميت عند ابن فارس لأنها «وصل ما كان في حياته بما بعده»^(١٥)، ونحن نضيف: هي وصل للحي أيضاً؛ لأنها امتداد لتجاربه في حياة من يوصي إليهم.

والوصية في الاصطلاح، وكما يراها أسامة بن منقذ: «أدب أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر وتحذير من زلل وتبصرةً بصالح عمل»^(١٦). ويحددها الدليمي بأنها: «نوع من أنواع الأدب الحي الرفيع المنزلة، تنتقي ألفاظها انتقاءً خاصاً، يطلقها مجرب حياة ومختبر دنيا، فيشرع فيها منهجاً قويمًا وسلوكاً تنظيمياً للإنسان عزيز عليه أو مهم لديه، يبصره بما ينبغي عليه أن يفعله فيما يستقبل من حياة إذا ادلهم خطب أو حزب أمرٌ في مجالات الحياة المتعددة الأطراف المترامية الجوانب»^(١٧)، وتمتاز بأنها «تقدم» تجاريب العمر في كلمات قليلة»^(١٨). ومع أنها تصدر من شخص معين إلى أناس خاصين به، إلا أنها «تمثل وصفاً عملية قابلة للسيرورة على عدد كبير من الأشخاص يختارون منها ما تصلح به حياتهم»^(١٩)،

ويتصل غرضها الرئيس -وفقاً للمصرف وللدليمي- بالمثل العليا التي حرص العرب أن يتحلى بها أبناؤهم ومن يوصون إليهم^(٢٠).

وتعد وصايا الآباء إلى الأبناء من أكثر صور الوصايا شيوعاً في الأدب العربي وخاصة في العصر الجاهلي^(٢١). وكان موضوع (الزواج) من الموضوعات التي وجدت لها محلاً بارزاً في هذه الوصايا لإدراك الآباء أهمية هذا الموضوع في بناء الحياة. وجاء الزواج في وصايا العرب القدامى إلى أبنائهم في صورتين:

الصورة الأولى: أن يكون الزواج أحد موضوعات الوصية وليس موضوعها الوحيد، ويأتي هذا في جملة من الوصايا العامة غير المتخصصة بالزواج، يوصي بها الآباء أبناءهم الذكور، ولا تقال قبل الزفاف. ونجد فيها الكثير من الأمور المتعلقة بالحياة الزوجية وأسس اختيار الزوجة عند العرب، ومن ذلك ما أوصى به أكنم بن صيفي بنيه قال: «يا بني لا يغلبنكم جمال النساء عن صراحة النسب؛ فإن المناكح الكريمة مدرجة للشرف»^(٢٢).

الصورة الثانية: وصايا الهداء، وهي لون خاص من الوصايا يوجهه الآباء والأمهات إلى بناتهن عند هدائهن؛ أي زفافهن، والوصية كلها هنا تتعلق بحياة البنت بعد الزواج، وهذه الصورة هي موضوع هذا البحث.

ب. وصايا الهداء لغة واصطلاحاً:

«وصايا الهداء»، هذا هو المصطلح المستخدم في كتب الأدب القديمة، ويعنون بها الوصايا التي يوجهها الآباء والأمهات إلى بناتهن ليلة زفافهن، وذلك في الزواج المألوف المتعارف عند العرب منذ الجاهلية^(*). أمّا لفظة (الهداء) فقد تكون مأخوذة من الهداية أو الهدية أو من الهدى بمعنى الأسير^(٢٣).

وفي اللسان: الهدى ضد الضلال، وهو الرشاد، وهديته الطريق، بمعنى عرفته. ويقال: هديت له الطريق على معنى بينت له الطريق. وأما هُدَيْتِ العروسُ إلى زوجها، فلا بد فيه من اللام (إلى) لأنه بمعنى زففتها إليه. والهداء مصدر قولهم: أُهدَيْتِ العروسُ إلى زوجها إهداءً، أو قولهم: هُدَيْتِ العروسُ إلى زوجها هِداءً؛ ففيه لغتان وطرح الألف أكثر؛ فكأنه من الهداية لا من الهدية. وقال ابن بزرج: «اهتدى الرجل امرأته إذا جمعها إليه وضمها. والهدْيُ والهدْيَةُ: العروس؛ قال أبو ذؤيب:

بِرَقْمٍ وَوَشْيٍ كَمَا تَمْنَمْتُ بِمَشِيَّتِهَا الْمُرْدَهَاءُ الْهَدْيُ
وقال زهير: فَإِنْ تَكُنِ النَّسَاءُ مُحَبَّاتٍ فَحَقَّ لِكُلِّ مُحْصَنَةٍ هِدَاءُ

والهدْيُ: الأسير بمعنى اسم المفعول؛ قال المتلمس يذكر طرفة ومقتل عمرو بن هند إياه:

كَطَرِيفَةَ بِنِ الْعَبْدِ كَانَ هَدِيَّتَهُمْ ضَرَبُوا صَمِيمَ قَدَالِهِ بِمُهَنْدٍ

وقال ابن بري: وأظن المرأة إنما سميت هدياً لأنها كالأسير عند زوجها، ويجوز أن يكون سميت هدياً لأنها تُهدى إلى زوجها، فهي هديّ على (فعليل) بمعنى مفعول^(٢٤).

ونرجح أن يكون مصطلح (الهداء) مأخوذاً من الهداية لا من الهدية، فهو «أشبه وأليق بالمعنى»^(٢٥) كما وصفه صاحب (الجليس الصالح)؛ وكأنما الزواج هو اهتداء ورشاد؛ فكل زوج يهتدي إلى شريكه الذي يوصله إلى حياة السعادة والرشاد، وهو معنى لطيف، وكل روح تبحث عن روحها الأخرى التي تكتمل بها وتسعدها، وكأنما المرأة قد اهتدت إلى الشريك الذي يوصلها إلى حالة السكون

والوئام والاستقرار، وتأتي هذه الوصايا لتكون الوصفة المختارة من الأب أو الأم تزوّد بها البنت ليكتمل اهتداؤها لزوجها بالسعادة المتوقعة بعد الالتزام بتفاصيل هذه الوصايا. أما إحالة المادة (هديّ) إلى (الأسير) فهو معنى له وجاهته أيضاً؛ يعززه ما ورد حول هذه الفكرة من أقوال أو آثار؛ فقد ورد في الحديث الشريف: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوانٌ عندكم»^(٢٦)، قال النووي في شرحه للحديث: «عوان: أي أسيرات، جمع عانية بالعين المهملة وهي الأسيرة، والعاني: الأسير، شبّه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير»^(٢٧). وأرى أن هذا المعنى قد جاء مجازاً ليصف مكانة الزوج في عالم المرأة؛ فهي تدور في فلكه، وهو المسؤول عنها، وهو الراعي لها، وهي لا تملك أن تخرج أو تتصرف في أمرها من غير العودة إليه.

فوصايا الهداء، إذن، هي الوصايا الموجهة إلى البنت ليلة زفافها، تهيئها إلى سبل الرشاد في حياتها القابلة، والالتزام بهذه الوصايا من الضرورة بمكان؛ لأن المرأة في معادلة الزواج، في الموروث العربي القديم، هي كالأسير ارتباطاً بالزوج، ودوراناً في فلكه، واحتكاماً بأمره. وتوجّه هذه الوصايا للبنات ليلة هدائهن دون الذكور، وهي تنم على «مدى عناية الآباء بتوجيه بناتهم وهن يدخلن مرحلة حاسمة في حياتهن الزوجية»^(٢٨).

ويرى بعض الباحثين أنّ «الأدب العربي قد تفرّد بهذا اللون من الوصايا»^(٢٩)، ويبدو أنه يشبه أن يكون سنة متبعة عند العرب في زمانهم القديم؛ فهو إجراء لازم يقوم به الآباء والأمهات تجاه بناتهم قبيل الزفاف؛ ويمكننا أن نستخلص ذلك من خلال نصوص وصايا الهداء نفسها؛ فهذه أمامة بنت الحارث تقول لابنتها أم إياس في صيغة الشرط: «إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك»^(٣٠)؛ ومعنى ذلك أنّ الوصية لا تترك في أي حال. ومما يدلّ عليه أيضاً

قول أبي الأسود الدؤلي في وصيته التي يوصي بها ابنته ليلة البناء بها: «يا بنية، كان النساء أحق بأدبك مني، ولكن لا بد لي منه»^(٣١)؛ فقله: «لا بد لي منه» يدلنا على ضرورة الوصية عند أولئك القوم؛ مما يجعله جديراً بالدرس والتحليل، خاصة أنه يتصل بهذا الشأن المهم من شؤون الحياة.

ج. في حدود المنهج:

هناك شبه إجماع بين الدارسين على تشابه وصايا الهداء في الأدب العربي القديم شكلاً وضموناً^(*). ويردّ الدارسون ذلك إلى «تشابه مشاعر القوم وأحاسيسهم ومناهجهم آنذاك في وصاياهم لأبنائهم»^(٣٢)، وإلى تشابه أغراضها^(٣٣)، وأضيف إلى ذلك أن روح العروبة تكاد تكون واحدة في موضوع الزواج قبل الإسلام وبعده.

ولأن هذه الوصايا متشابهة في روحها وشكلها ومضمونها في التراث العربي، فلا نكاد نلاحظ فروقاً جوهرية بين الجاهلي والإسلامي منها، ولأن كثيراً منها مجهول القائل لا ينتسب إلى اسم أو عصر؛ فإن دراستها بحسب عصرها وزمانها لا يبدو توجهاً صحيحاً، وإن كنا سنلتفت دائماً إلى ظروف إنتاجها. وسوف ندرسها بحسب جنس مرسلها؛ ومرد هذا التوجه افتراض الباحثة وجود سمات خاصة تميز كلاً من خطابي الآباء والأمهات، وأن ثمة تبايناً وافتراقاً في الإستراتيجيات المستخدمة في كلا الخطابين مردهما اختلاف طبيعة المرسل واختلاف طبيعة العلاقة وشكلها بين طرفي الخطاب في هذا الموضوع تحديداً.

وسيفرد هذا البحث خطاب الأمهات بالدرس لأن وصاياهن هي الأصل^(٣٤)، وأن وصايا الآباء في هذا الموضوع كانت استثناءً، ولأن الحيز المتاح للنشر في المجالات المحكّمة لا يتسع لمعالجة جميع وصايا الهداء. وقد وجدت الباحثة، بعد طول بحث وتدقيق، سبعة نصوص من وصايا الأمهات، وسوف تدرس الباحثة

هنا ستةٌ منها وتفرد وصية أمامة بنت الحارث ببحث مستقل لقدمها وتفردّها وطولها وتأثيرها في غيرها، ولأنّها تحتاج حيزاً بحثياً خاصاً لا يتسع له المتاح من الصفحات في المجلات المحكمة.

ويمتد زمان هذه النصوص الستة من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، وستغطي الدراسة هذه الفترة تقريباً. وسنحلل هذه الوصايا بالاستعانة بمعطيات مدرسة تحليل الخطاب التي تدرس الكيفية التي تؤدي بها الخطابات وظائفها؛ فهي تسعى -وفقاً لـ (دومينيك مانغو)- إلى «دراسة كل إنتاج قولي وتحليل الأقوال في سياقاتها»^(٣٥)؛ وذلك عن طريق «الربط المباشر بين التصميم النحوي للخطاب ودلالته، ولا بد فيه من توظيف الآليات الضرورية لمقاربة البنية التصورية غير اللغوية، والتي يمكن أن تزودنا بتحليل يكاد يكون مباشراً للعلاقات الدلالية فيه وفقاً لـ (جاكندوف)»^(٣٦). كما أن «البحث عن شبكة العلاقات المتدرجة في النص والبحث عن علاقات الانتظام الداخلي لبنيات النص مع الكل النصي هو واحد من أبرز مهام لسانيات النص وفقاً لـ (جان ميشال آدم)»^(٣٧). إن هذا الحقل يقوم في جزء غير يسير من اهتمامه على «تحليل مكونات الخطاب ضمن «مسار المعنى والدلالة»؛ إذ تعد هذه المكونات انسياً يعطي للمعنى حجماً كما يقول (جريماس)»^(٣٨). وبذا تعد البنية النحوية والمعجمية والصوتية و... هي المادة الأساس للتحليل ضمن هذا المسار.

إن هذا الضرب من الدراسة هو جزء من بحثنا عن السؤال الكبير: كيف تعمل اللغة داخل المجتمع؛ إذ إننا «فقط حين ننظر إلى اللغة داخل عمليات النشاط اللغوي نكون قادرين على الكشف عن الآلية الحقيقية للتوظيف الاجتماعي للغة»^(٣٩)؛ فالخطاب يتألف من مكونات لسانية تعضدها مكونات غير لسانية ترتبط أساساً بمفهوم السياق الذي أنتج فيه؛ ولذلك «ارتبط مفهوم

الخطاب بمسألة الإنتاج والتأويل، وهما مسألتان لا تتصلان بالجانب اللساني وحده وإنما لهما علاقات بالأبعاد الأخرى غير اللسانية التي تسهم في تشكيل تحليل الخطاب، وخاصة الأبعاد التداولية التي تتصل بالمتكلم وعلاقته بالخطاب ووضعية إنتاجه ومقاصده وأهدافه»^(٤٠).

ويرى (براون ويول) أن مصطلح «تحليل الخطاب» يشتمل على أنشطة متعددة؛ فهو يستعمل عندهما لوصف الأنشطة المتقاطعة بين عدة اختصاصات لسانية؛ كاللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية واللسانيات الإحصائية^(٤١). ولعل هذه الدراسة تميل إلى مجال من مجالات التحليل اللساني الجديدة -نسبياً- وهو «التحليل النقدي للخطاب»، الذي يستخدم مصطلحات التحليل النصي للربط بين بنية الخطاب والعلاقات السلطوية داخل المجتمع، ويتناول كيفية تحقيق العلاقات وتثبيتها أو مناهضتها من خلال التفاعل الخطابي، وهو يقيم جسراً بين مجالين: التحليل اللغوي للنص وأبعاده الاجتماعية^(٤٢). وينطلق هذا الضرب من التحليل -وفقاً لفاركلوف- من التسليم «بأن اللغة جزء من الحياة الاجتماعية لا يمكن اختزاله، وبينه وبين عناصر الحياة الاجتماعية الأخرى علاقة منطقية جدلية تجعل من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغة دائماً بعين الاعتبار»^(٤٣)، ويعتمد ذلك على «وصف نسيج العلاقات الداخلية ثم الخروج بها إلى ظروف الإنتاج ومقام التخاطب لإبراز كل ما يساهم في فهم الملفوظات؛ حيث تدخل كل أنواع المعارف في الحسبان وصولاً إلى الفضاء الدلالي للنص»^(٤٤).

ولأنّ الخطاب يمكن النظر إليه بوصفه «إستراتيجية للتلفظ»، أو بوصفه «نظاماً مركباً من عدد من الأنظمة التوجيهية والتركيبية والدلالية والوظيفية التي تتقاطع جزئياً أو كلياً فيما بينها»^(٤٥)؛ فإن هذا البحث سيقف وقفات متأنية

عند استراتيجيات الخطاب في الوصايا موضع الدرس وفي أدواتها، ولكن لا بد -قبلاً- من إلقاء إضاءة سريعة على عملية الاتصال في وصايا الهداء؛ لأنه مهما اختلفت المجالات وتشعبت القضايا فإن تحليل الخطاب لا يعدو أن يكون بحثاً في الاتصال والتواصل بين الناس؛ حيث يعد (كارون) دراسة كيفية انتظام مكونات الخطاب اللسانية والبراغماتية مسألة جوهرية؛ إذ كل تلفظ محكوم بجوانب انتظامية نحوية وقضايا دلالية ومكونات تداولية تجعل عملية الاتصال ممكنة، وهي تشتغل في الخطاب بصورة تعاضدية لا يمكن الفصل بينها»^(٤٦).

ثانياً: عملية الاتصال في وصايا الهداء:

إنّ اللغة نظام من الإشارات، لكنها أيضاً أداة تستخدم لنقل الأفكار بين المتكلمين «تحقيقاً للشرط الاجتماعي الإنساني، وهو ما يسمى عند علماء اللغة «الإيصال»، وهي تربط بين طرفين: بين اللغة نظاماً والإيصال هدفاً للمتكلمين، ويكون ذلك ضمن علاقة تمثل اللغة فيها أداة الإيصال ويمثل الإيصال فيها وظيفة اللغة»^(٤٧). وتصنّف الوصايا، وفقاً لعلماء الاتصال، ووفقاً للوظيفة النصية للخطاب، ضمن النصوص الإقرارية التي يأخذ الاتصال فيها شكلاً مباشراً^(٤٨)؛ حيث تصدر وصايا الهداء في وقت محدد هو ما قبل ليلة الزفاف بقليل، وفي هذا السياق الاجتماعي المحدد يمكننا قراءة خطاب الهداء؛ فالبنيت مقبلة على حياة جديدة؛ حيث ستترك العش الذي درجت فيه إلى عالم جديد محكوم باعتبارات اجتماعية مختلفة، وستحوّل إلى كيان مختلف، يُعاملُ بطريقة مختلفة وفقاً لتلك الاعتبارات.

ومن الطبيعي أن تصدر هذه الوصايا من الآباء والأمهات إلى بناتهم؛ لأن أولئك الآباء «أكثر خبرة ودراية، وأعمق تجربة فيما شاهدوه وعرفوه ووعوه من صيغ التعامل في الحياة: حلوها ومرها، وطارفها وتليدها»^(٤٩). ومن جهة

أطراف الاتصال، تصدر هذه الوصايا من الأم نحو البنت غالباً، ومن الأب نحو البنت أحياناً، لكن الوضع الطبيعي هو صدور هذه الوصايا عن الأمهات لاعتبارات عديدة حاول الدارسون تلمسها؛ فهذا محمد حور يقول في هذه المسألة: «إن هذه المهمة تتصل مباشرة بالأم التي تتولى هذا الأمر، وهي التي تقوم بإعدادها إلى هذا اليوم منذ نعومة أظفارها، وقد غلب أن تكون الأم أكثر حرصاً على ابنتها، وأكثر اتصالاً بها؛ لذلك فمن الطبيعي أن توجهها وترشدها إلى ما يرضي زوجها ويجعله يتعلق بها ويعزّها في حياتها، نعم، غلب هذا الأمر، وغلب أن يكون سرّاً غير مذاع وغير متداول على الألسن، حتى إذا ما اتصل بالأب ذاع وانتشر ووصلنا شيء منه»^(٥٠). وفي كلام محمد حور مسألتان:

الأولى: أن المرسل عادة في مثل هذه الوصايا هو الأم للصوقها بالبنت خاصة في مسألة الزفاف؛ إذ تبصّرها بما ينبغي أن تكون عليه الأمور في الحياة الزوجية حتى تنجح في حياتها القادمة.

والأخرى: أن هذه الوصايا أمر متداول وشائع بين الناس، لكنها بسبب صدورها -عادة- من الأمهات، وأن أحاديثهن مع بناتهن تكون عادة سرّاً غير مذاع وغير متداول على الألسن، فإن هذه الوصايا لم يصلنا أكثرها، وهذا يفسّر قلة ما عثرنا عليه منها، وأن من أهم أسباب معرفتنا بها ووصول بعضها إلينا صدورها عن الآباء أحياناً وليس الأمهات. لكن الوضع الطبيعي في هذه الوصايا صدورها من الأم لقربها اللصيق من البنات في مسألة الزفاف، ويصرّح بذلك أسماء بن خارجة حين زوج ابنته هنداً من الحجاج بن يوسف إذ قال لها ليلة هدائها: «يا بنية، إن الأمهات يؤدّبن البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة»^(٥١)، كما صرّح به أبو الأسود الدؤلي حين أوصى ابنته ليلة البناء بها، قال: «يا بنية، كان النساء أحق بأدبك مني، ولكن لا بد لي منه»^(٥٢). ولا أظن

أن تعليل مسألة صدورها الغالب عن الأمهات يحتاج إلى طويل وقوف؛ فالأم إلى يومنا هذا هي الرفيق الأقرب للبنت في موضوع الزواج، أما الأب فتتحرّج البنت معه وأمامه ولا تستطيع أن تفضي إليه بمكنونات صدرها، وقد يتحرج هو أيضاً من ذكر بعض الأمور فتتولى الأمهات هذه المهمة، ولذلك نجده أحياناً إذا أراد إيصال رسالة ما إلى ابنته يلجأ إلى أمها لتكون وسيطاً ورسولاً^(*)، فتخبرها وصايا والدها بالطريقة التي تراها مناسبة.

أمّا المتلقي الوحيد في وصايا الهداء فهي البنت الأثنى دون الذكر، ونستحضر هنا شهادة الدليمي في هذا الشأن؛ إذ يصرّح بأنه لم يجد من خلال ما وقف عليه من وصايا أن أمّاً اختصت ولدها الذكر أو أباً اختص ابنه بوصية ليلة الزفاف، وإنما ما وجدناه وصايا اختصت بها الأم أو اختص بها الأب ابنته ليلة زواجها^(٥٣). ويعزو ذلك إلى أن «تجربة البنات في الحياة محدودة وخبرتهن فيها قليلة لم تصل إلى غاية الإدراك، ولطبعهن في بيوت آبائهن على صيغة حياة وتعاملهن معها بمفاهيم تختلف عن البيت الذي سوف ينتقلن إليه؛ إذ طبائع الناس ليست واحدة، ومشاربهم ليست متشابهة، وأن العادات والتقاليد التي يدرج عليها هذا البيت تختلف في تصريف شؤونها عن ذلك البيت؛ ولذلك وجدت الأم أن من الواجب أن تضع الخطوط العريضة أمام ابنتها من خلال ما مرّت به كأم في بيت زوجها ويؤثر في ديمومة العشرة الزوجية بين الطرفين»^(٥٤). ويرده كذلك إلى قوامة الرجل على المرأة؛ وأنها «هي التي يناط بها تعهده وتعهده بيته والمحافظة على ماله وعياله»^(٥٥). ويعلل محمد حور ذلك بأن البنت «عندما تترك بيت أبيها إلى بيت الزوجية بحاجة إلى وصية أو قل وصايا تبين ما يجب عليها أن تقوم به تجاه زوجها لتحيا حياة سعيدة فيها هناء واستقرار مع شريك حياتها»^(٥٦)، ولا تتعد سهام الفريح وسناء ناجي المصرف^(٥٧) عن هذا.

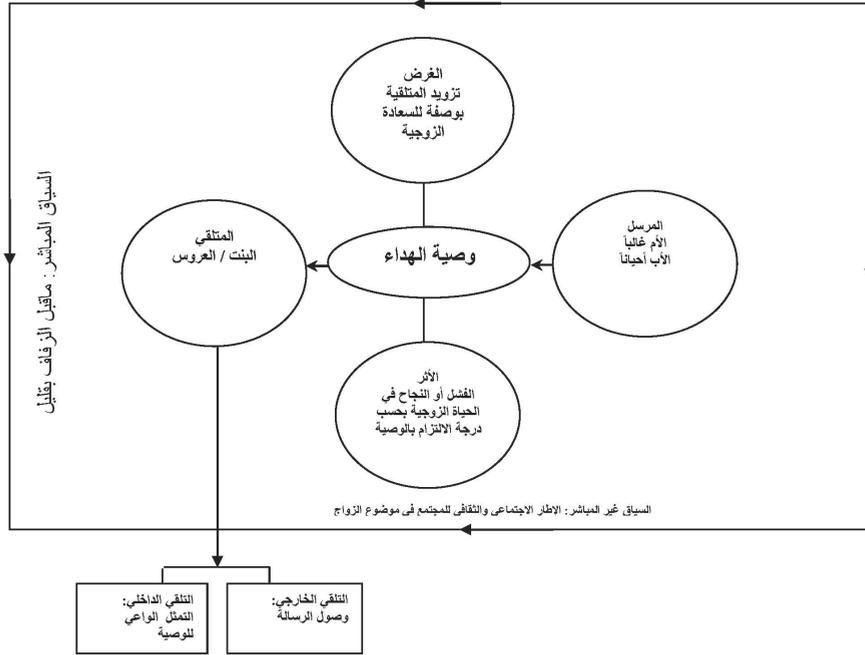
ونرى أن هذه الآراء جميعها وجيهة، ونضيف إليه أن الرجل في الموروث العربي - في الجاهلية والإسلام - له مكانة خاصة في مؤسسة الأسرة، وأن المرأة الزوجة مطالبة ببذل وسعها لإرضاء زوجها وإسعاده، وبالتالي فإن المرأة أولى بالمخاطبة في هذه المسألة، يعزز ذلك ما عرف في هذا الموروث من تشبيه المرأة بالأسير عند الزوج؛ فهو المرجع فيما يتصل بشؤونها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن سلوك المرأة تجاه زوجها وبيتها يحدد بوصلة السعادة في هذا البيت؛ فهي كلمة السر في وصفة السعادة الزوجية؛ ولذلك توجه إليها الوصايا لتحصر على هذه البوصلة. ومن جهة ثالثة فإن المرأة هي التي تترك بيت أبيها وتغادره إلى بيت الزوجية، ولا يتعرض الرجل لمثل هذا؛ فهو يبقى مع أهله وعشيرته. وقد يكون هذا التغيير حاسماً وقاسياً ومربكاً للمرأة، بل إنه قد يشكل نقطة تحوّل فاصلة في حياتها؛ ولذلك تحتاج إلى وصية تعينها في التعامل مع هذا التغيير الكبير؛ ولذلك وجدنا ابن الجوزي يعقد فصلاً خاصاً في كتابه «أحكام النساء» للحديث عن أهمية الوصية للمرأة قبل زواجها، بل المبالغة في ذلك، وقد افتتحه بقوله: «وينبغي لأبوي المرأة، خصوصاً الأم، أن تعرّفها حق الزوج وتبالغ في وصيتها»^(٥٨). وخلاصة ذلك أن المرأة هي الحلقة الأضعف والأحوج للنصيحة، والأكثر عرضة للتغيير، والنقطة الأهم في حسم اتجاه بوصلة السعادة، وبهذه الاعتبارات كلها كانت هي المتلقي الوحيد لمثل هذه الوصايا، وبهذه الاعتبارات مجتمعة لا تستغني بنت عن الوصية، مهما كانت ظروفها ومهما كان حسبها ومنزلة أبيها وشرف عائلتها وأخلاقها وتهذيبها.

هذا عن أطراف الاتصال في وصايا الهداء: البنت/ العروس التي تغادر منزل أبيها إلى بيت زوجها متلقية ومخاطبة، والأم غالباً أو الأب أحياناً مُرسلاً ومخاطباً، ولغرض معين واحد هو تزويد هذه البنت بما يمكنها من شق حياتها الجديدة بنجاح.

إننا في دراستنا للتواصل لا بد أن «نقف عند الدلالة التفاعلية في النص؛ حيث يستطيع المتلقي أن يفهم أفعال اللغة ووظائفها، وهذا هو الأثر التواصلية الذي يريد المتكلم إحداثه، وينتظر أيضاً أن يقبل المتلقي فعله ويرد عليه بطريقة مناسبة، وهذا هو الفعل التفاعلي المراد تحقيقه بالفعل اللغوي بغض النظر عن الردود الأخرى المتوقعة»^(٥٩). أما عملية التلقي في خطاب الهداء فهي مباشرة، وهي متعدّدة المراحل، وقد يتضمن خبر الوصية مرحلتها الختامية وقد لا يتضمن، ونقصد بمرحلتها الختامية أن يتحقق أثر الوصية في حياة المتلقية نجاحاً أو إخفاقاً، ويتمثل هذا بأن ينقل لنا الخبر نجاح البنت في حياتها وسعادتها مع زوجها كأثر مباشر للوصية، أو انعدام ذلك وطلاقها وانفصالها عن زوجها ووجدنا أمثلة على ذلك^(*).

والتلقي نوعان في مثل هذا الخطاب: التلقي الخارجي الذي يظهر لنا في سطح الخطاب، وتظهر فيه البنت مستمعة مصغية لكل كلمة تنفوه بها المرسلّة الأم. والتلقي الداخلي الذي يشتمل على تفاعل خطاب الوصية مع نفسيّة المتلقية ومخزونها الاجتماعي والثقافي، إنه تفاعل مع الأنساق الثقافية والاجتماعية الحاكمة في ذوات أولئك البنات وتجد لها صدى مباشراً في انفعالاتها مع هذه الأنساق، وهو من الأمور المهمة في تحليل مثل هذا الخطاب على نحو ما سنرى.

وتمر عملية التلقي الداخلي بمراحل متعددة: ابتداءً بالاستماع، ومروراً بالاستيعاب والتمثّل، وانتهاءً بالتنفيذ والتطبيق أو تنكّب ذلك، ثم الأثر. إنه تلقٍ واعٍ متجدد تحتبره المرأة في كل موقف وكل اتصال بالزوج الذي سيصبح كونها الجديد وعالمها الوحيد، إنه تلقٍ متفاعل مجبول بسطوة الأنساق الثقافية والاجتماعية الضاغطة من المجتمع، تقف فيه المرأة بلا خيار سوى أن تمضي بهذه (الوصفة/ الوصية) إلى منتهاها، لعلّ العاقبة تكون سعادة واستقراراً. ويمكننا تمثيل عملية الاتصال في وصايا الهداء بالشكل (١) الآتي:



(الشكل ١)

ثالثاً: وصايا الهداء عند الأمهات:

لاحظت الباحثة أن وصايا الهداء عند الآباء كلها منسوبة، أما وصايا الأمهات فأكثرها (خمس وصايا من أصل سبع) يغيب فيه اسم المرسل؛ فتكون الوصية منسوبة لـ «أعرابية» أو «امرأة» أو «امرأة من العرب» أو «أخرى»^(٦٠)؛ ويمكن تفسير هذه الظاهرة من وجهة نظر اجتماعية من خلال النقطتين الآتيتين:

أولاً: أن هؤلاء النسوة لم تكن أسماؤهن لامعة في المجتمع، وأنهن من عامة الناس، فلم يحفظ الرواة أسماءهن، أما الوصايا المنسوبة لنساء بعينهن فهي التي تكون فيها المرسلات من نساء العرب المعرفات؛ كما في وصية «أمامة بنت الحارث» التي تمثل علامة فارقة في مجتمعهما، إن كان بذاتها أو بأسماء الرجال

الذين اقترنت قصّتها بهم، إنّ من جانب أبيها أو زوجها أو زوج ابنتها، وكما هو الحال في حكاية الوصية التي ساقها ابن طيفور في بلاغات النساء، وتروي قصة زواج النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بنات أربع من نساء العرب المشهورات دفعة واحدة تذكر الحكاية أسماءهن^(٦١)؛ فمن الطبيعي أن نجد الرواة يتلقّطون كل ما تنفوه به أولئك النسوة ذوات الحسب والشرف.

ثانياً: أن الرواية عن المرأة في المجتمع العربي القديم كانت قليلة جداً، خاصّة إن كانت هذه المرأة من المغمورات. وفي مجمل الأمر، فلعل ورود الوصايا عند النساء المشهورات وعند عامة النساء على السواء يدل -ربما- على شيوع وصية الهداء في المجتمع العربي القديم، وعلى أنها تشكل عرفاً سائداً في ذلك المجتمع.

وتأتي وصية الهداء شعرية أو نثرية، وقد تجمع الفنين معاً فتكون شعرية نثرية، أما وصايا الأمهات فأكثرها من النثر (خمس من سبع)؛ ربما لأن النثر «أقدر على توصيل الغرض وتوضيح الفكرة، كما أنه أيسر فهماً، يدركه العامة والخاصّة، وهو أيسر في استعمال العبارة وصياغتها للتعبير عن الفكرة وشرح الغرض»^(٦٢). كما أن النثر يمنح المرسل قائمة متنوعة من الخيارات التركيبية والأسلوبية لا يمنحها الشعر، وهو ما يحتاجه هذا الضرب من الخطاب.

وفي العادة تنحو هذه الوصايا منحني إيجابياً يجمع ما يظنه الموصي أو الموصية نصائح خيرة فيها صالح الزوجين، لكن نددت عن هذه القاعدة بعض الوصايا الشاذة النادرة التي دعت إلى معاملة الزوج وأهله معاملة غير محترمة^(٦٣)، وهو قليل جداً عند جميع الموصين لكنه أقل عند الأمهات. وغرض هذه الوصايا، إلا ما شدّ منها، الوصول إلى علاقة أسرية متماسكة العرى بين الزوجين، و «تقديم كل ما من شأنه إعانة المرأة على استيعاب التغيير الذي يطرأ

على حياتهما بعد الزواج»^(٦٤). أمّا عن مضامينها؛ فتكاد تكون واحدة في العصرين الجاهلي والإسلامي، وخلصتها «تذكير الزوجة بإدامة العشرة الزوجية»^(٦٥). وفيها توصية خاصة باستخدام الكحل والماء، وقد تتطرق الوصية أحياناً إلى بعض التفاصيل المتعلقة بالمعاشرة الزوجية، ولا يوجد في هذه الوصايا أي حديث عن حقوق المرأة، بل كل ما نراه توجيهات متراكمة ومتعددة لها باتجاه الحصول على وضع مناسب عند زوجها.

وهذه الوصايا تعكس خبرات الأمهات وتحمل حكمتهن وخلاصة تجاربهن في الحياة الزوجية، وتكشف عن عقلية المجتمع، وتصوّر الكثير من ملامحه وطبيعة العلاقات بين أفرادها، وتكشف عن أعرافه وقيمه، وترسم صورة دالة لتفاصيل حياته وأنساقه الاجتماعية والثقافية. وتقدم صورة عن علاقة الرجل بالمرأة، ووضع المرأة في ذلك المجتمع، الذي -ربما- لخصه عامر بن الظرب في إحدى الوصايا بقوله: «فإنه لا رأي للمرأة»^(٦٦).

وقد وجدت الباحثة نصين شعريين وأربعة نصوص نثرية من وصايا الهداء عند الأمهات (عدا نص أمامة بنت الحارث). وسنحلل النصوص الشعرية أولاً ثم النصوص النثرية؛ ذلك أن الشكل اللغوي المتصل بالبنية العليا للنص له دوره في تقوّل الخطاب وتشكّله كما يرى علماء النص^(٦٧).

رابعاً: إستراتيجيات الخطاب في وصايا الهداء عند الأمهات في التراث العربي:

أ. وصايا الهداء الشعرية:

أولى وصايا الهداء الشعرية عند الأمهات وصيّة نقلها الوشاء في الفاضل عن محمد بن يزيد قال: «أخبرني الحسن بن علي بن عبد الرحمن أن أعرابية من

صباح بن عبد القيس، أوصت ابنة لها عند هدايتها فقالت: (٦٨)

لَا تَهْجُرَنَّ البَعْلَ فِي القَوْلِ وَلَا تُغْرِيه بِالشَّرِّ إِذَا مَا أَقْبَلَا
فَأوَّلُ الشَّرِّ يَكُونُ جَلالاً مُحْتَقَرًا ثُمَّ يَكُونُ مُعْضِلا
وَلَا تَبَيِّنَنَّ عَلَيْهِ بِجَهالاً فَتَكْشِفِي مِنْ أَمْرِهِ مَا جَهَلَا

يلفتنا ابتداءً أنّ هذه الأم تعتمد على الإستراتيجية المباشرة في الخطاب (*); فلم تقدّم بين يدي توجيهاتها الأمرة الناهية أيّ تقديم، وبدأت مباشرة بالنهي: «لا تهجرنّ البعل في القول»، وفي رواية: «لا تفجري في القول»^(٦٩)؛ ولعلّ مردّ هذه المباشرة إحساس الأم أنّ ابنتها مستعدة للأخذ بالتوجيهات مباشرة من غير تلكؤ، وأنها ليست بحاجة لأيّ تقديم أو توطئة، وليس كل البنات كذلك، وربما لأن الشعر أضيق من النثر في استيعابه مثل هذه المقدمات. وضمير الخطاب في فاتحة النص (لا تهجرنّ/ أنت) يفرد المتلقية بمضمون النهي، أما النهي نفسه ففيه توجيه عنيف للابتعاد عن المنهي عنه، وله قوة كبيرة كما هو الحال في أي علامة للممنوع الذي ينبغي تركه التي تعطي للشيء الممنوع هالة كافية تجعل المخاطب يتعد عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وتلجأ الأم إلى الإستراتيجية التوجيهية (*). سبيلاً لإيصال رسالتها، وتمثلت هذه الإستراتيجية في سلسلة من الأوامر والنواهي المشفوعة بالتعليل والتوضيح وإضاءة المناطق المظلمة التي قد تخفى على الفتاة؛ وذلك لكي لا تبدو هذه الأوامر والنواهي فارغة من مضمونها أو غايتها النبيلة، وهي الوصول بالفتاة وحياتها القابلة إلى بر الأمان، والأمر والنهي «مظهران لغويان من مظاهر الموجّهات الإلزامية وفقاً لبرلمان»^(٧٠). والمرسلة في هذا تتوسل بالإستراتيجية الإقناعية أيضاً؛ حيث يختلط التوجيه بالإقناع؛ ومن نماذجه في النص توجيه الأم

ابنتها إلى تجنب الهجر في القول للزوج، وضرورة تحاشي الشر، وعدم السماح له بالامتداد والانتشار، لخصت ذلك بقولها عبر أسلوب النهي:

لَا تَهْجُرَنَّ الْبَعْلَ فِي الْقَوْلِ وَلَا تُعْزِرِيهِ بِالشَّرِّ إِذَا مَا أَقْبَلَا

ثم ساقَت بين يديها توضيحاً وتقريباً وإثباتاً على ضرورة هذا الطلب ومغيباً عدم اتباعه، وذلك قولها:

فَأَوَّلَ الشَّرِّ يَكُونُ جَلَلًا مُحْتَقِرًا ثُمَّ يَكُونُ مُعْضِلًا

وخلاصة الفكرة الإقناعية أن الشر أوله يكون صغيراً محمداً لكنه لا يلبث أن يصبح مشكلة ومعضلة لا حل لها إن لم يطوق ويحصر؛ فمن الخير إذن أن نتحاشاه وأن نحاصره مبكراً؛ فهذه الفاء السريعة تنقل إليك العلة الحاضرة والتوضيح السريع للتوجيه المطلوب؛ فهو توجيه معلل وهو أدعى للقبول من طرف الفتاة.

ويلفتنا في النص أدوات لغوية معينة مثل: (إذا) مقترنة بـ (ما) الزائدة، واقتراحهما معاً يفيد الاحتمالية: «إذا ما أقبلنا»؛ فأقبال الشر في الحياة الزوجية محتمل، لكنها عبرت عنه بعبارة تدعو الفتاة إلى عدم السماح له بالمجيء أصلاً: «إذا ما»؛ فكأنه من المفترض ألا يأتي، فـ «إذا» تفيد الوجود في العادة لكنها قطعتها بـ «ما» الزائدة فأفادا الاحتمالية، لكن إن حصل هذا الشر فإن الإجراء الواجب هو محاصرته وعدم السماح له بالامتداد.

وقد توسلت الأم أيضاً بـ «ثم» العاطفة للدلالة على أن المشكلات الزوجية تبدأ صغيرة لكنها تتعقد مع مرور الوقت إن لم يتم تداركها فوراً:

فَأَوَّلَ الشَّرِّ يَكُونُ جَلَلًا مُحْتَقِرًا ثُمَّ يَكُونُ مُعْضِلًا

واستخدمت المرسله كلمة (جلل) بذكاء، وهي من ألفاظ الأضداد وتعني الشيء العظيم والصغير الهين^(٧١)؛ فالشر قد يبدو جلالاً محتقراً أي صغيراً لكنه لا يلبث أن يكون كبيراً عظيماً، وبذا يكون الشر عظيماً خطيراً حتى لو بدا هيناً. والاستراتيجيات ذاتها نجدها في التوجيه الثالث وهو قولها:

وَلَا تَبَيِّنْ عَلَيْهِ بَحْلاً
فَتَكْشِفِي مِنْ أَمْرِهِ مَا جَهَلَا

وفي البيت إشارة من بعيد إلى العلاقات الجنسية بين الزوجين، وهو أمر قليل نادر في وصايا الأمهات، وهو مما يمكن تفسيره بالاعتبارات اللغوية ذات البعد الاجتماعي لدى الجنسين؛ حيث لا تفضّل المرأة الجهر بمثل هذه الأمور، وإنما تلمّح إليها تلميحاً. وقد أوردت الأم التوجيه في صورة النهي، والمنهي عنه هو بخل البنت بالوصل على زوجها وضرورة تلبية مطالبه الزوجية، فإنّ عرض لها ما يجله مما يمكن أن يمنع ذلك من حيض أو نحوه فعليها أن تكشف له ذلك لئلا تستجلب غضبه؛ فهو توجيه بالنهي ولكنه توجيه مغلف بالإقناع والتوضيح والتحذير من العواقب دائماً.

ومن التقنيات اللغوية الجلية في الإستراتيجية التوجيهية في هذا النص اقتران الأفعال المنهي عنها بنون التوكيد «لا تهجرن»، و «لا تبينن» وهي تشي بأكثر من مسألة؛ أولها يتصل بالمرسله؛ فهذه الأدوات تبرز قوّة المرسله؛ قوتها المعنوية وقوة موقعها وموقفها (استخدام السلطة)؛ مما يجعل لأوامرها ونواهيها الحازمة محلاً وموقفاً في نفس البنت المتلقية. وثانيها يتعلق بالمتلقية؛ فنون التوكيد تشي بأهمية الالتزام بهذه التوجيهات وضرورة تنفيذها بحذافيرها، وإلا كانت مغبة ذلك كبيرة، وكان ذلك وبالاً عليها. وثالثها يتعلق بالزوج؛ فنون التوكيد تشي بتعظيم الزوج، وأهمية إسعاده وإرضائه والابتعاد عن كل ما يمكن أن ينغصه، ويقوّي هذه الفكرة حركة الضمائر في النص التي تجعل الفتاة مجرد متلقٍ تلقى عليه التوجيهات وعليه أن يأخذها كما هي؛ لأن عاقبة تنكّبها ستكون باهظة الكلفة.

أما الزوج فهو محور التوجيه ولبّه وسببه؛ فهو حاضر بشدّة في هذا النص: اسماً ظاهراً وضميراً متصللاً وضميراً غائباً، ويمكننا أن نتبين ذلك من خلال الإحالات الضميرية عليه في النص، ومقارنتها بالإحالات الضميرية التي تحيل على البنت/ العروس؛ فمع أن المخاطبة هي المرأة/ العروس إلا أن الزوج الغائب هو الحاضر الأكبر هنا؛ فبينما نجد أربع إحالات ضميرية تحيل على المرأة/ العروس، نجد في مقابلها خمس إحالات ضميرية تحيل على الزوج، وانظر هذا الجدول:

لا تهجرنّ (أنتِ) / العروس	←	البعل (هو)/ الزوج
لا تغري (أنتِ) / العروس	←	تغريه (هو)/ الزوج
لا تبتيتّ (أنتِ)/ العروس	←	عليه/ هو/ الزوج
فتكشفي (أنتِ)/ العروس	←	من أمره (هو)/ الزوج، ما جهلا (هو) الزوج

وفي استنطاقنا لما وراء جمل النص المدروس هنا وإحالاته من بني اجتماعية وثقافية، نجد المرأة مطالبة بأن تكون الطرف الذي يسترضي ويقدم التنازلات باستمرار حفاظاً على مؤسسة الزواج، وأن عليها أن تنكر ذاتها وتطلّعاتها في سبيل إرضاء الزوج بما يجب بغض النظر عما تريده هي؛ فكأنها تلاشت فيه أو ذابت، ولم يعد لتطلّعاتها وما تهواه مكان؛ فرضاه وسعادته هو محور تفكيرها وحياتها، بل ودقائق تفاصيل هذه الحياة. إن هذه القراءة السابرة للبنية الإحالية للنص وما تشي به من بني اجتماعية وثقافية هو إجراء إضافي لما اعتدنا أن نقوم به في دراسة الخيارات التركيبية للمنشئين ودرجة موافقتها للشروط النحوية والدلالية؛ إذ إن علينا -في هذا الضرب من الدراسات- أن ننظر إن كانت الجمل المختارة في الخطاب «تلي الشروط التداولية المصاحبة لذلك الخطاب،

ومنه ظروف إنتاجها من طرف كائن واع له موقف من الوجود والعالم»^(٧٢)؛ وبذا يسهم درس اللغة بفعالية في الإجابة عن أسئلة الحياة.

أما الوصية الشعرية الثانية فقد رواها الوشاء في الفاضل أيضاً، قال: «أخبرني محمد بن يزيد قال: أخبرني الحسن بن عبد الرحمن قال: أوصت أعرابية ابنة لها ليلة هدائها فقالت: (٧٣)

مَضَى الشَّبَابُ وَدَنَا وَفَتْهُ الهَرَمُ	سَلِيلَةَ السَّادَاتِ مِنْ فَرَعِي جُشَمِ
وَقَرَّبَ القَوْلُ: مَضَتْ أُمُّ الحَكْمِ	وَهَاضَنِي الدَّهْرُ بِتَعْرَاقِ القَسَمِ
بِأَنِّي رَهْنُ ضَرِيحٍ وَرَجَمِ	وَرَاعِيٍّ بَاغٍ وَحَقُّ مَا رَعَمِ
وَحَالِفي الحَقِّ وَمَحْمُودِ الشَّيَمِ	فَاللَّهِ فَاحْشِي وَاحْذَرِي لِنَدَعِ الكَلِمِ
وَالبَعْلُ لَا تُزْرِي بِهِ عِنْدَ العَدَمِ	بِالْبِرِّ وَالصِّدْقِ وَلِلْفَضْلِ إِرْمِ
وَلَا تُرِدِّي قَوْلُهُ إِذَا احْتَدَمِ	وَلَا تُذِيعَنَّ عَلَيْهِ مَا اكْتَمَمِ
هَدِي وَصَاتِي قَبْلَ حِينِ احْتَرَمِ	فَإِنَّهُ يُعْقِبُ مَذْمُومَ النَّدَمِ

تعتمد هذه الوصية اعتماداً رئيساً على الإستراتيجية التوجيهية، ومن الملاحظ أنها أقل مباشرة من سابقتها، مع أنها ما زالت مباشرة؛ فقد مهّدت المرسلات بأكثر من تقديم قبل أن تشرع بأوامرها ونواهيها، وتعدّ هذه المقدمات وصائل ووسائل تجعل للتوجيه أهمية وقيمة وتمهّد له وتهيئ لقبوله؛ أما التقديم الأول فهو النداء مع حذف حرف النداء، وهو مما يساعد في اختزال المسافة بين طرفي الخطاب، ويسهم في التقريب النفسي والمعنوي بين الأم المرسلات والبنات المتلقيات. ولأن المخاطبة جديرة بالتنويه والتفريط فقد أفردتها وجعلتها بؤرة خطابها: «سليمة السادات من فرعي جُشَم» على تقدير: «يا سليمة السادات». والإشادة بأصل البنات وحسبها ونسبها وأنها ابنة السادات من الجهتين أمّاً وأباً، يحقق أمرين:

الأول: انشراح صدر الفتاة ومسرّتها وإحساسها بعزّتها ومكانتها، وهذا يهيئها للسمع أكثر؛ فالنفس تهوى المديح وتفرح له، خاصّة إذا أحسّت بصدق صاحبه.

والآخر: أنه يذكّر المتلقية بأن من كانت مثلها: حسباً ونسباً وعراقة في الأصل والعائلة، ينبغي لها أن تتحلّى بأخلاق رفيعة وخصال حميدة وشمائل كريمة. وهذا التقديم متصل بالمتلقية ومركزها الاجتماعي، وهدفه ضمان استجابتها لمضمون الخطاب وتحقيق تفاعلها الإيجابي معه. إنه تحريك لسلطة المركز الاجتماعي على صاحبه؛ إذ يحتمّ هذا المركز على صاحبه نوعاً من السلوك لا يستطيع معه فكاكاً، لأنه لو فعل فسيجعل من نفسه عرضة لانتقادات المجتمع.

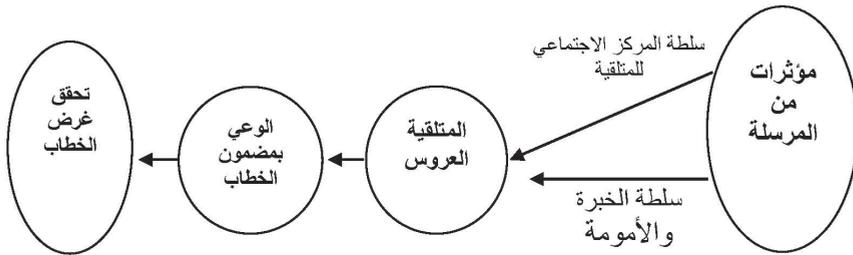
وأما التقديم الثاني، فهو لفت انتباه البنت إلى حقيقة أن أمّها صاحبة تجربة، وأنها استمدت هذه التجربة من حياتها المديدة؛ فهي ليست صغيرة في السن، بل إنها اقتربت من الهرم والوفاة، وأنها خبرت الحياة وخبرتها الحياة، وأن هذه العروق البادية في قسّمات وجهها هي خير دليل على هذه التجربة العميقة، ومعنى ذلك أن ما يصدر عنها من وصايا إنما هو ثمرة هذه التجربة؛ وهذا أدعى لقبولها:

مَضَى الشَّبَابُ وَدَنَا وَقْتُ الهَرَمِ
وَهَاضَنِي الدَّهْرُ بِتَغْرَاقِ القَسَمِ
وَقَرَّبَ القَوْلُ: مَضَتْ أُمَّ الحَكَمِ

ويلاحظ في هذا الجزء من النص كثرة العناصر الإشارية الدالة على الزمن والحياة والموت إشارة إلى هذه الخبرة وهذه التجربة: (الشباب/ الهرم/ الدهر/ ضريح/ رجم). أمّا الأفعال فتوحي بسيرورة الحياة قبلاً وبعداً، ومعاركة الحياة لها ومعاركتها للحياة: (مضى/ دنا/ مضت/ قرّب)، وكلّ ذلك مدعاة لإقبال الابنة على الأخذ بوصية صاحبة هذه التجربة العميقة. **والتقديم الثاني** متصل بسلطة

المرسلة التي استمدت مشروعيتها من أمومتها ومحبتها الصادقة من جهة، ومن خبرتها الطويلة التي تجعل لتوجيهاتها قيمة ومعنى مختلفين من جهة أخرى.

وبذا تكون المرسلة قد سلّطت على المتلقية نوعين من المؤثرات لإحداث حركة الوعي بمضمون الخطاب؛ **الأول**: المؤثرات المتصلة بالمركز الاجتماعي للمتلقية وما يمليه ذلك عليها من سلوك منضبط ومحسوب، وهي مؤثرات اجتماعية محضة وسطوتها كبيرة. **والثاني**: المؤثرات المتصلة بسلطة المرسلة المستمدة من موقعها أمماً ومن خبرتها الكبيرة في الحياة ومن صدقها تجاه ابنتها الذي تمثل في استحضار الموت في خاتمة النص، إذ إن الصدق غالباً ما يلازم من يعتقدون أنهم يمضون وهم يريدون ترك أبنائهم في أمان، وهذان النوعان من المؤثرات غرضهما إحداث الوعي بمضمون الخطاب وتحقيق غرضه ومقاصده. والشكل (٢) الآتي يبرز ذلك:



(الشكل ٢)

وبعد هاتين المقدمتين بدأت الأم المرسلة بوصاياها لابنتها، وكأن لسان حالها يقول: بحق هذين: نسبك وحسبك في بيت السادات، من جهة وخبرتي وتجربتي من جهة أخرى، اقبلي مني هذه النصائح لتصلي بزواجك إلى بر الأمان. أما التوجيهات فهي: عليك بخشية الله/ احذري الكلام اللاذع/ التزمي الحق

والشيم المحمودة/كوني علامة مميزة في البر والصدق والفضل/ عدم الإزراء بالزوج عند الفقر/عدم نشر أسرار الزوج/ وأن لا تردي قول الزوج إذا احتدم غضبه فإن ذلك يعقب الندم المدموم. وأنت وصيتها بقولها: «هذي وصاتي قبل حين أخترم»؛ أي قبل أن أموت.

أما في جانب الأدوات اللغوية التي استخدمتها المرسل في تحقيق إستراتيجيتها فقد اعتمدت أسلوبين رئيسين هما: الأمر والنهي، ووظفتها ببراعة بالاستعانة بعدد من الأشكال التركيبية، وتجسّد هذه التراكمات طبيعة العلاقة بين المرسل والمرسلية، ويطلق عليها علماء الخطاب ما يسمى بالعلاقة القياسية؛ إذ «يتبلور في خطاب المرسل كل أشكال السلطة المجردة»^(٧٤). أما الأمر في الوصية فقد جاء على النحو الآتي: الله فاخشي/ واحذري لذع الكلم/ وحالفي الحق ومحمود الشيم بالبر والصدق/ وللفضل إرم. وكان الأمر الأول هو التزام خشية الله، ولعله يوحي أن الوصية إسلامية مع أنّ هذا ليس لازماً؛ إذ كان الجاهليون يستعملون جملاً كهذه أيضاً. ويلاحظ في هذا الأمر تقديم المفعول به على الفعل والفاعل للأهمية؛ فمطلوب من البنت أن تستحضر (الله) دائماً في تعاملها مع زوجها وبيتها، وقد تصدّر هذا الأمر قائمة الأوامر ليكون أصلاً لكل مكرمة بعد ذلك، وعظفت عليه مباشرة الأمر الثاني وهو الحذر من الكلام اللاذع؛ فكأنّما هذا الحذر هو أولى ثمار خشية الله. ويلاحظ في هذا الأمر استعاضتها عن المركّب الوصفي للمفعول به بالمركّب الإضائي؛ فبدل أن تقول: «احذري الكلم اللاذع»، قالت: «احذري لذع الكلم»، وقدمت ما يفترض أن يكون وصفاً على الموصوف وجاءت به مصدراً وفيه نوع من المبالغة؛ ففرق بين كلمٍ لاذع وكلمٍ لذع؛ فالثاني أشدّ إيلاماً، ولذع الكلم قد يؤلم أكثر من لذع السوط، وهو مما يعكّر صفو الحياة ويفضي إلى النزاع والشقاق. ثم عظفت عليه مباشرة الأمر

الثالث وكأنما هي سلسلة متصلة من الأخلاق كلّ منها يفضي إلى الآخر ويؤثر في الآخر، أما هذا الأمر فهو أن تحالف الحق والشيم المحمودة، وأن تكون معهما حيث دارا. والتحالف يعني الالتزام التام والوفاء بحق الحليف تماماً وعدم التنكّر له أبداً؛ فعليها أن تحالف الحق والشيم المحمودة بالبر والصدق كما يفعل الحليف الصادق مع حليفه، والبر يعني الوفاء هنا: «وحالفي الحق ومحمود الشيم بالبر والصدق».

ويلاحظ هنا أيضاً أنها قد قدّمت الوصف (محمود) على الموصوف (الشيم) وحوّلتها من مركّب وصفي إلى مركّب إضافي، وكان أصل التركيب: وحالفي الشيم المحمودة، وفي ذلك ضربٌ من التخصيص؛ إذ (الشيم) تشي بالخصال الحميدة، لكنها توّسّلت باسم المفعول وقدّمته ليكون في ذلك تخصيصاً فوق التخصيص، وفيه ترغيب للمتلقية بأن تلزم هذه الشيم فتكون سبيلها إلى جلب حمد الناس لها خاصة زوجها، وخصت بالإشارة ضربين من الشيم ليكونا سياجاً لحلف ابنتها مع الحق والأخلاق هما: البر والصدق.

وعطفت على ذلك كله الأمر الرابع والأخير، وهو أن تكون الابنة إرمأً للفضل؛ أي علامة فارقة للفضل؛ فتصبح الابنة والفضل صنوين متلازمين يذكر أحدهما إذا ذكر الآخر؛ فالإرم «حجارة تجمع وتنصب علماً في المفازة يهتدى بها، وكان من عادة الجاهليّة أنهم إذا وجدوا شيئاً في طريقهم ولا يمكنهم استصحابه تركوا عليه حجارة يعرفونه بها، حتى إذا عادوا أخذوه»^(٧٥). والجملة فيها حذف وفيها تقديم وتأخير، وتقديرها: كوني إرمأً للفضل، وقد حذف العامل لأنه مفهوم من السياق، أما تقديم قيد الجر المتعلق بالخير «للفضل» فلأنه موضع التنبيه ومناطق الوصية؛ فهي ما زالت في مقام الحديث عن الشيم المحمودة التي ينبغي التحلي بها.

أما النواهي فهي: والبعل لا تزري به عند العدم/ ولا تذيعن عليه ما اكتتم/ ولا تردي قوله إذا احتدم فإنه يعقب مذموم الندم. ويلاحظ أنها عطفت النواهي على الأوامر والعطف معناه الاشتراك في الحكم؛ فكأنما هذه الوصايا جميعاً تشكل حلقة واحدة يجب الإمساك بها من أطرافها جميعاً. أما النهي الأول فهو عدم الإزراء بالزوج عند العدم؛ أي عدم إساءة معاملته إذا أقر وصار فقيراً وألّا تعزّيه بضيق ذات اليد، وألا تتغير معاملتك تجاهه إذا صار كذلك؛ فإن ابنة السادات لا تفعل ذلك، والنساء الكريمات لا يفعلن ذلك.

ويلاحظ أنها استخدمت أسلوب الاشتغال للتركيز على الزوج لأهميته وأهمية احترامه في الحياة الزوجية: (البعل لا تزري به عند العدم)؛ فالمرسلة لا تكتفي بإبرازه مرة واحدة بل مرتين ومجملتين اثنتين وليس بجملته واحدة، والثانية منهما توكيد لفظي للأولى؛ فلفظ «البعل» منصوب على نزع الخافض، والتركيب الأصلي هو: «لا تزري بالبعل لا تزري به عند العدم»؛ فهذا هو التركيب في بنيته العميقة، وهو أبلغ في التركيز على (البعل)، وتقديمه اسماً ظاهراً أولاً ثم إشغال العامل بضميره ثانياً خير دليل على أنه بؤرة الخطاب ومركز عنايته، ثم قيّدت المرسلة العامل بالظرف (عند) مضافاً إلى (العدم) تخصيصاً لهذا الظرف الخاص وعناية به؛ فإن كان الإزراء بالزوج منهياً عنه مطلقاً عند المرأة الكريمة فإن الإزراء به عند عدمه أُلزم وأكد في النهي، وهو خلقٌ مردود لا يليق بالمرأة العادية فضلاً عن «سليلة السادات من فرعي جشم».

وعطفت على هذا النهي نهيًا آخر هو ألا تذيع أسرار الزوج التي ائتمنها عليها، وقد غلّظت المرسلة هذا النهي بصورة واضحة، فلم يعد نهيًا عادياً بـ «لا الناهية»، وإنما هو نهي مضاعف وعلى وجه من التشديد، دلّ عليه نون التوكيد الثقيلة التي اتصلت بالفعل بعد (لا) الناهية: «ولا تذيعن عليه ما

اكتتم»؛ مما يدل على أن خرق هذا النهي هو من كبائر الأمور التي لا تليق بابنة السادات. وتوسّلت بـ «ما» الموصولة التي هي من المبهمات لتدل على مطلق أسرار الزوج؛ فالمبهم أكثر قدرة على التعبير عن الحالات المختلفة والأسرار المختلفة: صغيرها وكبيرها: «ما اكتتم»؛ أيًا كان هذا الذي اكتتم، وحتى لو رآته هي ليس جديراً بأن يكتتم من وجهة نظرها، فحسبها أن تعلم أنه لا يريد نشره فعليها أن تلتزم بذلك بصورة مطلقة ونهائية؛ فليست سليمة السادات التي تتولى إذاعة أسرار زوجها، فإن ذلك سوء خلق جدير بمثلها أن تترفع عنه.

وعظفت على هذا النهي نهياً آخر هو «ألا تردّ قول الزوج إذا احتدم غضبه»؛ فإن عليها ألا تبادله قولاً بقول في حال الغضب، حتى لو كانت على حق؛ فإن المرء وقت الغضب لا يكون في وضعه الطبيعي، وقد يفضي هذا الأمر إلى مالا تحمد عقباه؛ فإن تبادل الأقوال والالتزامات بينهما قد يصبح كالكرة التي تكبر ويصبح عسيراً التعامل معها؛ فينبغي عليها أن تستوعب زوجها وقت غضبه، وأن تتجنّب بتاتاً الرد على كل كلمة بمثلها؛ فهو من مذموم الخصال عند العرب، وهو يعكس موروثاً كبيراً من تضخيم الزوج وتعظيمه؛ فالمرأة مطالبة دوماً باسترضائه والابتعاد مسافات عما يمكن أن يثير غضبه، فإن ردّ الكلام يعدّ محاولة منها أن تكون نداءً له، والرجل في الموروث العربي لا يقبل ذلك، ولا يمكن أن يتسامح معه، وأي محاولة من هذا القبيل ستجابه منه بثورة كبيرة قد تسفر عن الشقاق والطلاق والفراق، وهذا ما عبّرت عنه الأم بقولها: «فإنه يعقب مذموم الندم». ولأهمية هذا التوجيه، على وجه التعيين، أعقبته الأم بذكر العاقبة الرهيبة مقترنة بالفاء السريعة التي أحب أن أسميها هنا «فاء العاقبة»؛ لأنها تحمل فكرة التعقيب من جهة، والسبب والنتيجة من جهة أخرى، وقد جاءت هذه الفاء أيضاً مقرونة بـ «إن» التوكيدية التي تعني أن هذه النتيجة

ستكون حتمية كالقضاء المبرم لا ريب فيه. والتوكيد «ضرب من الموجهات الإثباتية وفقاً لبرلمان»^(٧٦)؛ وبذا يتوقع من التركيب التوكيدي أن يحدث أثراً إثباتياً لدى المتلقية يتصل بزرع اليقين باتجاه فكرة معينة.

ومرة أخرى تختار المرسلّة التركيب الإضافي عوضاً عن التركيب الوصفي مع تقديم الوصف على الموصوف؛ فأصل التركيب: «فإنه يعقب الندم المذموم»، ولكنها لم تقل ذلك بل قالت: «فإنه يعقب مذموم الندم» وفيه ضرب من التخصيص، وفيه ضرب من التهويل والتضخيم في عين المتلقية؛ لتبعدها عن كل ما يمكن أن يتسبب بذلك الندم المذموم إبعاداً كبيراً؛ ولفهم المعنى على وجه التحديد يمكنك ملاحظة الفرق بين دلالات التراكم الآتية:

فإنه يعقب الندم	←	مطلق الندم
فإنه يعقب الندم المذموم	←	ندم موصوف (وكأنما هناك ندم محمود وآخر مذموم)
فإنه يعقب مذموم الندم	←	فيه اختصاص (والتركيز هنا على الضرب المذموم من الندم)

واسم المفعول (مذموم) فيه إشارة إلى المجتمع الذي يحيط بالمتلقية وتبلور فيه المعايير والأحكام والقيم، فإن هذا الفعل (رد قول الزوج في حال الغضب) في معايير المجتمع وقيمه يجلب أذمّ الندم وأبشعه وأكثره إيلاماً. وهذا يعيدنا إلى مقدمة الوصية التي أشير فيها إلى سلطة المركز الاجتماعي الذي يفرض على صاحبه سلوكاً خاصاً يليق بهذا المركز وإلا فإن «مذموم الندم» بالمرصاد كما قالت الأم في وصيتها.

وكما توّسّلت المرسلّة لتحقيق إستراتيجيات خطابها وأغراضه بوسائل سابقة، من حيث المفتوح بالنداء والتذكير بالخبرة والتجربة؛ فإننا نجد أنها تجعل

الخاتمة جزءاً من تحقيق هذه الإستراتيجية، تقول: «هذي وصاتي قبل حين أُخترتم»؛ فهي ضرب من رد العجز على الصدر، إن جاز التعبير، واسم الإشارة يؤدي دوره في تنبيه المخاطبة بأن هذه هي خلاصة تجربة الأم وخبرتها وآخر ما تتركه لابنتها قبل الوفاة. والظرف (قبل) مهم في هذا الموضع؛ فليست الوصية قبل الوفاة حسب، وإنما هي قبل الزواج، وقبل فوات الأوان؛ فإن هذه الوصية تفقد معناها إذا وصلنا إلى حدث الزواج وفات الفوت عليها؛ فإن الوصية قبل الزواج هي سبيل من سبل الوقاية التي هي دائماً خيرٌ من العلاج؛ ف (قبل) هذه تتسق مع فكرة «الوصية» التي هي إجراء قبلي يستبق المقتضى الحياتي الذي يستوجبها لتحقيق غرضها، وهو متصل بنجاح المتلقية في جانب من جوانب الحياة. وتضافر الظرفان (قبل) و(حين) في خاتمة الوصية في التعبير عن هذا الغرض بصورة تجمع بين طرفي الخطاب؛ فالقبلية متصلة بالمتلقية والمرسلة معاً؛ فهي تعني للمتلقية وصول التوجيه قبل الزفاف ليؤتي أكله في بسط السعادة بين الزوجين، وهي (القبلية) تعني للمرسله نجاحها في أداء واجبها تجاه ابنتها خلال حياتها وقبل مماتها من خلال تزويدها بما تحتاجه من توجيهات ووصايا. أما الظرف (حين) فهو متصل بالمرسله وحدها، حيث يعني وصول رحلة حياتها إلى منتهاها؛ فهي تستبق هذه اللحظة بتقديم الوصية في وقتها المناسب؛ فالحضور الذي مثلته (حين) بلحظتها الراهنة الحاضرة اقترن بحضور آخر هو حضور الوصية، وعبر اسم الإشارة (هذي) عن هذا الحضور وهذا التلازم: «هذي وصاتي قبل حين أُخترتم».

إن الكلمة المفتاح في هذا النص - كما أراها - هي الكلمة الواردة في فاتحة النص «سليلة السادات»؛ فكأنما سليلة السادات كائنة متميزة عن الأخريات، ولها سمت خاص هو انعكاس لنسبها وحسبها وأصلها وعائلتها وتربيتها، وبسبب من هذا التميز لا بد من وصية تحفظ لها هذا الموضع وهذا الشرف وهذه المكانة

من جهة، وتجعل سلوكها ينسجم مع هذا الوصف ويتسق معه من جهة أخرى، وأي سلوك غير مناسب من الصبيّة قد يחדش هذه الصورة ويشوهها؛ فتبقى البنت واطعة نصب عينيها هذه الصورة وهذا المثال وتعمل بمقتضاهما. وهنا لا بد أن نقرر أن «المكانة الاجتماعية» هي المسؤولة عن هذا التقولب اللغوي لرسالة الوصية، وهذا يضعنا مباشرة أمام جدلية اللغوي والاجتماعي في صياغة رسائلنا اللغوية؛ حيث يحقق منتج الخطاب من خلاله «وجوده الاجتماعي ونشاطه الإنساني؛ لأنه يعبر بوساطته عن ارتباطه بالوقائع والأحداث»^(٧٧)، ونحن حين نحلل الخطاب «لا نريد أن نعرف الصيغ والمضامين التي يمتلكها النص حسب، ولكننا نريد أن نعرف الوظائف الممكنة التي يستطيع أن يملأها بفضل هذه الصيغ وهذه المضامين، ولا نريد أن ندرس الأبنية حسب ولكن وظائف هذه الأبنية في السياق»^(٧٨).

ب. وصايا الهداء النثرية عند الأمهات:

من وصايا الهداء النثرية وصية نقلها الوشاء في الفاضل أيضاً عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال^(*): «زوّجت أعرابية ابنتها، فلما أرادت أن تهديها قالت: أي بنية، أوصيك فاحفظي وصيتي، وأنصحك فاقبلي نصيحتي: إياك والغيرة المفرطة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها تؤدي إلى النفاق، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء واستعمال الماء، وأستودعك الله»^(٧٩).

وكشأن معظم وصايا الهداء تبدأ هذه الوصية بالنداء، وجاء بأداة النداء (أي) متبوعة بلفظ التصغير: «أي بنية»، والغرض من ذلك جذب اهتمام المخاطبة من جهة، وإشعارها بأنها صغيرة ليس لديها خبرة أمها من جهة ثانية،

وربما كان تحريكاً لعاطفة خاصة فريدة بين الأم والبنت من جهة ثالثة، وفي التصغير اختزال للمسافة بين المرسل والمتلقي، وهو مطلب مهم لتحقيق أغراض الوصية من توجيه وتأثير.

ووصفت المرسلة رسالتها اللغوية بأنها وصية ونصيحة معاً، وطلبت من ابنتها أن تحفظ وصيتها وأن تقبل نصيحتها؛ فهل من فرق بين النصيحة والوصية؟ وهل من فرق بين الحفظ والقبول؟ أما النصح «فنقيض الغش، ونصحت له نصيحتي أي أخلصت وصدقت، وأصل النصح الخلوص»^(٨٠). وأما الوصية هنا فهي العهد، وما تتركه بعدك لغيرك، وفيها معنى الصلة كما أسلفنا؛ فكأنما الناتج من الأمرين بالنسبة لهذه الأم المرسلة هو وصية ناصحة؛ أي عهد مجبول بالصدق والإخلاص والتمحيص عن تجربة وخبرة تصل به ابنتها. وهذا الوصف (الوصية والنصيحة) مدعاة لإقبال المخاطبة/ الابنة على ما تقوله أمها، والغرض من هذا الوصف زرع الثقة بين المرسل والمتلقي؛ فيفترض أن تصدر الوصايا من صاحب الثقة المحب كما أوردنا في المعنى اللغوي للوصية في فاتحة هذا البحث. وأما فعلاً الأمر (احفظي) و(اقبلي) فهما مرحلتان في تلقي الرسالة اللغوية، تبدأ الأولى بحفظ الوصية وفهمها وتخزينها واسترجاعها حين الحاجة، وأما المرحلة الثانية فهي الأخذ بها وتنفيذها وتحري العمل بها دائماً، وهذا هو قبولها.

وهذه الوصية نموذج للإستراتيجية التوجيهية المباشرة، فلم تقدم المرسلة لوصاياها بأي تقديم، وإنما كان خطابها مباشراً جداً، أما الأدوات اللغوية التي استعانت بها لتنفيذ هذه الإستراتيجية فتتمثل في أسلوبين:

الأسلوب الأول: التحذير باستخدام «إياك»، وقد حذرت الموصية من أمرين هما: الغيرة المفرطة، وكثرة المعاتبة، وجاء كل تحذير منهما مقترناً بالعلّة الموجبة له؛ وذلك ليمتزج التحذير بالإقناع، وهذا أدعى للقبول والتفاعل من

المتلقية؛ فالتحذير ليس مقصوداً لذاته بل للعواقب الوخيمة التي تترتب على عدم الالتزام به، وهذه العواقب مباشرة وفورية وسريعة، عبّرت عنها هذه الفاء التعقيبية السريعة التي أسميناها فاء العاقبة وعلى النحو الآتي:

<u>التحذير</u>	←	<u>العاقبة المتوقعة</u>
إياك والغيرة المفرطة	←	فإنها مفتاح الطلاق
إياك وكثرة المعاتبة	←	فإنها تؤدي إلى النفاق

ويعدّ أسلوب التحذير بـ (إياك) أكثر أشكال التحذير تأثيراً وإشعاراً بفكرة التحذير؛ فهو أجلى في دلالاته على التحذير من الصياغات الأخرى لأسلوب التحذير، ومنها على سبيل التمثيل:

الغيرة! / الغيرة الغيرة! / الغيرة والمعاتبة!

فهذه الصياغات جميعاً تقوم على جملة واحدة حذف العامل فيها وحضر المفعول به اسماً ظاهراً، على تقدير: «حاذري الغيرة»، أما التحذير بـ «إياك» فيقوم في بنيته العميقة على جملتين وليس جملة واحدة؛ فتقدير التركيب هو: «حاذري إياك وباعدي الغيرة المفرطة»؛ فـ «إياك» ضمير منفصل في محل نصب مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره باعدي، ومعلوم أن التحذير بجملتين أشد تأثيراً من التحذير بجملة واحدة، والأمر ذاته يقال في الجملة الثانية: «إياك وكثرة المعاتبة»، ومعلوم أيضاً أن حذف الفعل في مثل هذه التراكيب (أسلوب التحذير) وكذا حذف الفاعل إنما هو للتركيز على بؤرة الخطاب فيه وهو المفعول به في الجملتين، وهو في حالتنا المحذّر والمحدّر منه؛ أي المخاطب/ إياك ومادة التحذير (الغيرة والمعاتبة)، ليكونا أكثر ظهوراً.

وقد نعتت المرسله الغيرة بالمفرطة؛ لأن هذه الأم تعلم أن المرأة قلماً تستطيع أن تتخلى عن الغيرة مطلقاً، فإن هذا فوق طاقتها، لكن ينبغي عليها أن لا تشطّ في غيرها فتوصلها إلى الطلاق، كما أنها حدّرت من كثرة المعاتبه لا من مطلق المعاتبه، كأن القليل منها لا يضير، وربما كان القليل منها ضرورياً للتواصل بين الزوجين خاصة في وقت الاختلاف، أما إذا صارت كثرة المعاتبه خلقاً لدى الزوجه فإن ذلك يجعل الزوج يخفي أشياء عن زوجته لينجو من معاتبته مما يجعله يعيش في وجهين، وهو ما وصفته الموصية بـ «النفاق»، ولكن إن كان هنالك نوعٌ من الأريحية في التعامل بين الزوجين، ونوع من التبسّط والإعذار فإن ذلك يؤدي إلى ارتياح الزوج ومصارحته لزوجته بكل شيء، مما يشيع الصدق والمحبة بينهما. وقرنت المرسله فاء العاقبه بـ «إن» التوكيدية (فإنها مفتاح الطلاق/ فإنها تؤدي إلى النفاق) لتقول لها: إن هذه العاقبه الكارثية ستكون مباشرة ومؤكّده وعلى وجه اليقين وليس الاحتمال.

وفي رواية ثانية لهذا الجزء من الوصية: «إياك وكثرة المعاتبه فإنها قطيعة للود»^(٨١)، وفي رواية ثالثة: «إياك وكثرة المعاتبه فإنها تورث البغضة»^(٨٢)، وفي رواية رابعة: «إياك وكثرة المعاتبه فإنها تورث الضغينة»^(٨٣) وهذه: (قطيعة الود والبغضة والضغينة) لا تقل ألماً عن مسألة (النفاق) التي شرحناها، مع ملاحظة اقتران الجملة هنا بـ «إن» التوكيدية أيضاً مما يدل على تحقق هذه العاقبه على وجه اليقين إن تورّطت المرأة في مسألة كثرة المعاتبه. ويلاحظ أن المرأة تظهر بوضوح في الجزء المتعلق بالتحذير لكنها تغيب (شكلاً) في الجزء المتعلق بالعاقبه؛ فكأنما المرسله تخبرها أنّ العاقبه ستخرج عن سيطرتها وأنّ التداعيات لا يمكنها التحكم فيها أو السيطرة عليها، وأن الزوج و أهله والمجتمع جميعاً لن يكونوا بمعزل عن هذه التداعيات، لكنّ وبال مغبّتها جميعاً سيكون عليها هي، وهي فقط؛ فالأحسن أن تتصرّف في الجزء المحذّر منه؛ أي كثرة المعاتبه، وإلا فـ «النفاق» في

هذه الرواية، و«قطيعة الود» في الرواية الثانية و«توريث البغضة» في الرواية الثالثة كلها ستكون العاقبة، وكلّها تحيل إلى مصير واحد تحتهد الأمهات في إبعاد البنات عنه وهو (الطلاق).

الأسلوب الثاني: أسلوب الأمر، وجاء هذه المرة بصيغة اسم الفعل المنقول عن الجار والمجرور، واختارت حرف جر يدل على الاستعلاء فقالت: «عليك بالزينة»، وهو أبلغ في الأمر من «الزمي الزينة»، أو «تزيني»؛ فإن «عليك» تحمل لونهاً من الوجوب لا تحمله الصيغ الأخرى؛ فهي لا تترك للمخاطبة إلا سبيلاً واحداً هو الاستجابة؛ فكأنما هي فريضة واجبة عليها الالتزام بها، مما يدل على أهمية المأمور به وهو التزين بالكحل والتطيب بالماء في ذلك المجتمع العربي القديم. ولمزيد من التوضيح والتفصيل أتبعته الأم هذا الأمر بجملتين اسميتين هما: «أزين الزينة الكحل» و «أطيب الطيب إسباغ الوضوء واستعمال الماء»؛ فهما شرح مفصّل لكلمة (الزينة) التي وردت في الجملة الأمرية: «عليك بالزينة»؛ فالكحل والماء هما قوام الزينة التي يؤكدها الموصون جميعاً في ذلك الزمان. وقد جاء المبتدأ في الجملتين اسم تفضيل: (أزين وأطيب) وهما محفزتان للترغيب ببلوغ الذروة في هذا الموضوع؛ فكأنها تقول: إن أردت أزين الزينة فعليك بالكحل، وإن أردت أطيب الطيب فعليك بالماء، وكليةما قوام الزينة عند المرأة في ذلك الزمان، وأفعل التفضيل من الوسائل المهمة في إستراتيجيات التوجيه المحفزة لأداء العمل؛ فإنها توحى بالتفرد في المنزلة وبالإنجاز الفردي والتفوق على الآخرين؛ مما يجعل المرء يحاول الحصول على الذروة التي يمثلها الاسم المفضل في الصيغة.

ووصف «إسباغ الوضوء» في الوصية يشي بإسلاميتها؛ فهو من التعابير الإسلامية المعروفة التي تمزج بين الفائدة الدينية والاجتماعية والإنسانية، وقد ورد في الأحاديث النبوية الكثير من فضائل إسباغ الوضوء^(*). ونجد البيروني يفرد في كتابه

(الجماهر) فصلاً للنظافة واستعمال الماء، ويعده من المحامد يقول: «ومدار الأمر في نظافة الإنسان على الماء الطهور الذي يراح من ريحه وطيبه روح الريح، ويوجد به طعم الحياة، وليس ينقي ما يكره منظرًا وريحاً من الأدناس غيره أو ما يشابهه... ووصايا العرب والعربيات بناهّن ترجع إليه وتدور عليه»^(٨٤)؛ وهو مما يدل على أن الماء له مكانة خاصة في حياة العرب القدامى، والمرأة على وجه التحديد.

وتحتم المرسله وصيتها بما يشبه الدعاء: «وأستودعك الله»؛ فكأنها بعد أن ذكرت لها من الوصايا ما يمكن أن يكون وصفها الضرورية في الفلاح والنجاح في حياتها الزوجية القابلة لتتركها في حفظ الله ورعايته يكتب لها ما شاء من الخير، وختم الوصية بما يشبه الدعاء أو الأمنيات الطيبة من خصائص وصايا الهداء عند الأمهات، وهي تعكس جانباً من خوف الأمهات على بناتهن وهن يخضن هذه التجربة الجديدة، وما يسيطر عليهن وهن يوصين بناتهن هو هاجس واحد: الاطمئنان على سعادة البنت وسعادة زوجها، وتجنب الطلاق والمصير المجهول لأي سبب من الأسباب؛ ولذا سنجد لفظة (الطلاق) وما يتصل بها من مفردات حاضرة في خطاب الأمهات، كما في هذه الوصية: «فإنها مفتاح الطلاق»؛ ولذا فهي تجتهد في إعداد وصفة تقي من الطلاق، ثم تستودع الله ابنتها بعد ذلك يصرف الأمر كيف يشاء. والدعاء يمثل ترجمة حية للإستراتيجية التضامنية في الخطاب التي تشير إلى مشاعر خاصة من طرف الأم تجاه ابنتها، قوامها المحبة من جهة والخوف عليها من غوائل الحياة من جهة أخرى.

ومن اللافت في هذه الوصية أيضاً إيجازها مع وجود نوع من التساوي بين الجمل ونوع من التقابل أو التكامل الدلالي بين جزأين مترابطين، وهي تجري على إيقاعات قصيرة كالطرقات المتلاحقة؛ والغرض من ذلك أن يكون قلب المخاطبة حاضراً قريباً عبر هذه الطرقات لمسائل معينة يجري التنبيه عليها.

ومما يلفت كذلك كثرة المصادر في نص قصير: (الغيرة/ النفاق/ الطلاق/ إسباغ/ المعاتبة/ الوضوء)، والمصادر -بدلالاتها على مطلق الحدث- ترصد معالم فارقة في الحياة الزوجية هنا؛ فبعضها متصل بسلوك الزوجة، وبعضها متصل بردة فعل الزوج؛ فالغيرة والمعاتبة والإسباغ والوضوء من المرأة، أما النفاق والطلاق فمن الزوج، وأما الإجراءات المطلوبة لتجنب هذين فهي: الحذر، واجتناب الغيرة المفرطة وكثرة المعاتبة، والتزام إسباغ الوضوء والكحل دائماً، والنتيجة: ابتعاد شبحي النفاق والطلاق، وحلول الصدق والوثام ومن ثم السعادة.

ومن الملاحظات المهمة أيضاً غياب الزوج من خريطة العناصر الإشارية والإحالية في النص، مع أنه حاضر بالقوة فيه؛ فالزينة له والكحل من أجله، والغيرة عليه، والمعاتبة له، والنفاق منه، والطلاق بيديه. أما المرأة المخاطبة فتشغل حيز النص كله، إن من خلال العنصر الإشاري (بنية) أو من خلال شبكة الإحالات الضميرية التي تحيل عليها في النص وعددها أحد عشر ضميراً، ومع ذلك، فإن حركتها وأفعالها والتزامها وحذرهما وتطلعها كله يتجه نحو غاية واحدة هي رضی ذلك الزوج الغائب الحاضر، وهو أمر بالغ الدلالة عن أهمية الزوج ومكانته في عالم المرأة في ذلك الزمان.

إنّ عملية تحليل النصوص «تکمن أساساً في محاولة التحكم في معنى النص، من خلال افتراض سياقات أصلية أولية محبأة في ثناياه، وبإمكان القارئ التعرف عليها وتحديدتها استناداً إلى خطة تقوم على سلسلة من التبسيطات المتتالية التي تنصبُّ على البنية العامة للواقعة من أجل الوصول إلى ما يشكل نواة مركزية سرِّب إليها السر الدلالي في غفلة من منتج النص أو بتواطؤ منه»^(٨٥)، ولعل وقوفنا المتأني عند خرائط الأبنية والتراكيب والإحالات هو محاولة للوقوف على هذا السر والإحاطة به.

أما الوصيّة النثرية الثانية من وصايا الأمهات فينقلها التجاني عن أبي الريحان يقول: «من هذا الباب قول أخرى لابنتها: «كوني له فراشاً يكن لك معاشاً، وكوني له وطاءً يكن لك غطاءً، وإياك والاكتئاب إذا كان فرحاً، والفرح إذا كان كئيباً، وألا يطلعنّ منك على قبيح، ولا يشمنّ منك إلا أطيب ريح، ولا تفشيّنّ له سرّاً لئلا تسقطي من عينه، وعليك بالماء والدهن والكحل فإنها أطيب الطيب»^(٨٦).

ويستطيع الناظر في هذه الوصيّة ملاحظة نقاط التشابه بينها وبين وصيّة أمامه بنت الحارث التي -لعلها- تحولت إلى نموذج يقلّد لدى الأمهات فيقتبسن ما فيه من مضامين وأساليب. والإستراتيجية التوجيهية هي السيّدة هنا، وجاءت التوجيهات على شكل مجموعة من الأوامر والنواهي والتحذيرات المشفوعة بالتعليل غالباً، فكل أمر يعقبه فائدة منه:

كوني له فراشاً	←	يكن لك معاشاً
كوني له وطاءً	←	يكن لك غطاءً

وهي فوائد تبادلية؛ حيث تبدأ المرأة خطواتها الأولى تجاه الرجل لكنها ما تلبث أن تعود عليها في النهاية بالفائدة والمنفعة، وإن بدا ذلك تنازلاً منها في البداية، لكنه تنازل محسوب الخطوات محسوب النتائج. وبعد الأوامر يأتي أسلوب التحذير بـ «إياك»، وهو تحذير مرتبط بحركة الرجل ومزاجه وأحواله وعواطفه؛ فتكون حركة المرأة وسلوكها مرتبطين ارتباطاً كلياً ومباشراً بمحور واحد هو الزوج ونفسيته وانفعاله؛ فالموافقة والمواتاة هما كلمة السر في حركة الضمائر في جملة التحذير، وتبدأ الحركة بمزاج الزوج، يدلنا على هذا البدء الفعل الناقص (كان) وارتباطه بـ «إذا» الشرطية الظرفية: «إذا كان فرحاً/ إذا كان كئيباً»، ويأتي

الانفعال المقابل والحركة المقابلة من الزوجة. وهذا التقابل بين الحالتين بألفاظ بينها علاقة طباق له دلالة؛ فالمطلوب التوافق التام وليس مجرد الموافقة؛ فعلى المرأة أن تتلبس مشاعره دائماً فتفرح لفرحه وتحزن لحزنه وتكتئب لاكتئابها. إنها حركة ارتدادية يحكمها مزاج الرجل وأحواله، وتكون المرأة فيها في منتهى المواتاة والموافقة.

ومن التمثلات اللغوية للإستراتيجية التوجيهية في هذا النص كذلك أسلوب النهي بـ «لا» الناهية، مع ملاحظة اقتران الأفعال المسبوقه بـ «لا الناهية» بنون التوكيد الثقيلة: «وألاً يطلعن منك على قبيح ولا يشمنن منك إلا أطيّب ريح ولا تفسين له سرّاً...»، وهي نواهٍ عن أمور تعدّها الأمّهات في غاية الخطورة، وقد يتسبب بعضها بأخطر ما تخشاه المرأة في ذلك المجتمع وهو الطلاق، أو على الأقل تغيّر مشاعر زوجها تجاهها فلا تعود عنده حبيبته الأثيرة، وهو ما عبّرت عنه هذه الأم بقولها: «لئلا تسقطي من عينه»، وهنا تؤدي نون التوكيد الثقيلة مهمّة تبصير المرأة بأهميّة الانتهاء عن هذه السلوكات التي قد تؤدي إلى انهيار الزواج. وهذا الربط المباشر بين إفشاء أسرار الزوج في هذه الوصية وسقوط الزوجة في عيني الزوج، وكذلك وصفه بأنه يعقب مذموم الندم في نص سابق، يدل على أنّ هذا السلوك يعدّ من الكبائر في الحياة الزوجية في ذلك المجتمع.

وتختتم الوصية وصيتها بأمر تعدّه في غاية الأهمية ولذا تجعله في الخاتمة ليبقى في خاطر العروس حياً جلياً، وهو الجزء الذي يعدّ القاسم المشترك بين الوصايا، وهو المتصل بالماء والكحل: «وعليك بالماء والدهن والكحل فإنها أطيّب الطيب»، وقد استعانت المرسله بأسلوب الأمر باسم الفعل المنقول عن الجار والمجرور، وله ميزة اختزال المسافة بين المرسل والمخاطب؛ فالمخاطب حاضر في اسم الفعل نفسه (عليك)، وهو حاضر في الضمير المستتر: (أنت)، ولا يوجد فعل في التركيب الأمري يباعد بين المرسل والمتلقي، ولا يحتاج الأمر

إلى مراحل وخطوات، بل ينبغي أن تكون الاستجابة كلية ومباشرة وفورية وغير قابلة للتسويق أو النظر أو الانتظار. وجاء الأمر معللاً: «فإنها أطيّب أطيّب»، واسم التفضيل (أطيّب) يغيرها بهذا الخيار الذي يجعلها في الذروة السامقة من قلب الزوج، ويلاحظ أنها أضافت الدهن إلى الوصفة، وهذا اجتهاد خاص من هذه الأم يضاف إلى الوصفة المتفق عليها عند الأمهات في وصايا الهداء (الماء والكحل)، وتصب هذه الإضافة في الغرض ذاته.

أما عن حركة الضمائر في الوصية، فإننا نلاحظ غياب المرسلّة عنصراً إشارياً مع أنها موجودة بالقوة لأنها إن غابت غاب الخطاب. ويقوم الخطاب كله على حركة نوعين من الضمائر: الضمائر المحيلة على المرأة المخاطبة، والضمائر التي تحيل على الزوج الغائب الحاضر، وتجري هذه الضمائر في حلقة من الحركة واستلزام الحركة؛ فكل لفظة منها (الزوجة) تقابلها لفظة منه (الزوج)، وكل حركة منه تقابلها حركة منها، بصورة تظهر هذه العلاقة التبادلية بين هذه التوجيهات وانعكاساتها في الحياة الزوجية؛ فهي علاقة تداخلية تشابكية تنصهر فيها الحدود بين الطرفين. ويظهر مخطط حركة الضمائر في النص أنّ الزوج هو بؤرة حياة المرأة مع أنه غائب في الخطاب إشارياً، وأنه محور هذا الخطاب وبوصلته الحاضرة، ويمكننا أن نلمح ذلك من خلال المخطط الآتي:

كوني (أنتِ/ المرأة) له (هو/ الزوج فراشاً) ←	يكن (هو) لك (أنتِ) معاشاً
كوني (أنتِ/ المرأة) له (هو) وطاءً ←	يكن (هو) لكِ (أنتِ) غطاءً
إياك (أنتِ) والاكْتِتاب ←	إذا كان (هو) فرحاً (هو) (إذ المشتق يحتمل الضمير)
وإياك (أنتِ) والفرح ←	إذا كان (هو) كئيباً (هو) (إذ المشتق يحتمل الضمير)

وألاً يطلعنّ (هو) منك (أنتِ) على قبيح، ولا يشئمنّ (هو) منك (أنتِ) إلا طيب الريح، ولا تفشين (أنتِ) له (هو) سراً، لئلا تسقطي (أنتِ) من عينه (هو)، وعليك (أنتِ) بالماء والدهن والكحل.

إننا نجد إحدى عشرة إحالة ضميرية تحيل على المرأة واثنى عشرة إحالة ضميرية تحيل على الزوج، وهو عدد مستغرب في خطاب موجه إلى المرأة؛ فلم يكافئها الزوج في عدد الإحالات بل زاد عليها أيضاً؛ مما يفسّره ما ذكرناه من مكانة الزوج في حياة المرأة في ذلك الزمن القديم؛ فكل حركة وكل تصرف وكل عمل من المرأة المخاطبة إنما يتجه إليه، ولأجله، وبسبب منه؛ فهو الأوحد في حياتها، وهو محور اهتماماتها وسلوكها جميعاً. «إن الإستراتيجية التوجيهية تقتضي أن يكون كل ما في النص منتقىً بدقة وحرص لتوجيه المتلقي وقيادته إلى غاية واحدة في الخطاب هي الفكرة المراد الإقناع بها أو السلوك الذي يروم المنتج حمل المتلقي على إتيانه؛ فلا مجال للصدفة والاتفاق بل كل مفاصل الخطاب وكل دقائقه وصوره وأساليبه إنما توجه المتلقي إلى الوجهة المنشودة؛ فهو خطاب عملي لا يطمح إلى تغيير الفكرة حسب بل إلى تغيير الموقف وتحديد السلوك»^(٨٧).

وأما النص الثري الثالث فهو حكاية نقلها ابن طيفور في (بلاغات النساء) عن علي بن الصباح قال: «أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: بعث النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نضر إلى نسوة من العرب منهن فاطمة بنت الخرشب وهي من بني أنمار بن بغيض وهي أم الربيع بن زياد وإخوته، وإلى قبيلة بنت الحسحاس الأسدية، وهي أم خالد بن صخر بن الشريد، وإلى تماضر بنت الشريد، وهي أم قيس بن زهير وإخوته كلهم، وإلى الرواع النمرية، وهي أم يزيد بن الصعق، فلما اجتمعن عنده قال: إني قد أخبرت بكن، وأردت أن أنكح إليكن، فأخبرني عن بناتكن؟! فقالت فاطمة: عندي الفتخاء

العجزاء(*)، أصفى من الماء، وأرق من الهواء، وأحسن من السماء. وقالت تماضر: عندي منتهى الوُصاف، دفيّة اللحاف، قليلة الخلاف. وقالت الرواع: عندي الحلوة الجهمة، لم تلدها أمة. وقالت قبلة: عندي ما يجمع صفاتهن، وفي ابنتي ما ليس في بناتهن. فتزوج إليهن جميعاً، فلما أهدين إليه دخل على ابنة الأنمارية، فقال: ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: عطري جلدك، وأطيعي زوجك، واجعلي الماء آخر طيبك. ثم دخل على ابنة السُّلمية فقال: ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: لا تجلسي بالفناء، ولا تكثري من المرء(*) واعلمي أن أطيّب الطيب الماء. ثم دخل على ابنة النمرية، فقال: ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: لا تطاوعي زوجك فتمليّه، ولا تعاصيه فتشكيه، واصدقيه الصفاء، واجعلي آخر طيبك الماء. ثم دخل على ابنة الأسدية، فقال: ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: أدني سترك، وأكرمي زوجك، واجتني الإباء، واستنظفي بالماء»^(٨٨).

ولن تقف الباحثة عند الحكاية بحد ذاتها وعند حيثياتها وعند منطقيتها؛ لأن ذلك خارج عن نطاق البحث، وستقتصر على الوقوف عند الوصايا الأربع الماثلة هنا واستراتيجيات الخطاب فيها. والنعمان بن امرئ القيس بن عمرو من ملوك العرب، وواضح أنّه قد اختار أولئك الزوجات لصيت أمهاتهن؛ وغلب على ظنه أنّهن سيكنّ متميزات كأمهاتهن، واستكمالاً لهذا الظن فقد سأل كل واحدة منهن عن وصية أمها. ولم يسألن عن وصايا أمهاتهن إلا وهو موقن أن هنالك وصية، لكنه راغب في معرفة مضمونها؛ مما يشي أن الوصية تقليد ثابت وأمر لازم عند العرب القدامى عموماً فضلاً عن أشرفهم، كما يشي أيضاً أن هذه الوصية هي جزء من التقييم الذي يجريه الزوج للعروس؛ ويبدو أن النعمان كان راغباً في المفاضلة بين زوجاته الأربع وفقاً لطبيعة الوصية التي تلقتها

كل واحدة منهن، بعد أن كان قد اطمأن إلى الجوانب المتصلة بجمال العروس وشكلها قبل الزواج من خلال سؤال الأمهات عن مواصفات بناتهن.

أما الوصايا فتعتمد جميعها على الإستراتيجية التوجيهية المباشرة؛ فالخطاب جاء مباشراً واضحاً قصيراً موجزاً، واعتمدت اثنتان من الوصايا كلياً على أسلوب الأمر (الأولى والرابعة)، وراوحت اثنتان منها بين أسلوب الأمر والنهي (الثانية والثالثة). أما التوجيهات فهي: تعطير الجلد/ طاعة الزوج/ التطيب بالماء/ صدقه بالصفاء/ إيداء الستر/ إكرام الزوج/ تجنب الجلوس في الفناء/ عدم الإكثار من المرء/ عدم مطاوعة الزوج في المسائل الجنسية مطاوعة تامة/ عدم الصد عن الزوج في هذه المسائل صدأً تاماً.

ونلاحظ أن هذه التوجيهات تغطي دوائر الحياة الزوجية جميعها، بدءاً من دائرة الآداب العامة في الحياة، وانتهاءً بدائرة العلاقات الزوجية الخاصة جداً بين الزوجين، وأن كلّها يدور في فلك الزوج ورضاه وإسعاده، ويجمعها كليّة التوجّه نحو الزوج؛ فكأنما هو مركز حركة المرأة ومحور نشاطها ومؤشر بوصلتها، وفيما يأتي بيان بهذه التوجيهات؛ بدءاً بالدائرة الأوسع اتجاهاً نحو الدائرة الأضيق:

- التوجيهات التي تقع ضمن دائرة الآداب العامة:

نجد ضمن هذه الدائرة توجيهين، الأول: جاء في وصية ابنة السُّلمية، وجاء بصيغة النهي وهو: «لا تجلسي بالفناء»، وقوامه: توجيه بالأدب والحياء والاستتار عن الجوار. والثاني: ورد في وصية ابنة الأسدية، وجاء بصيغة الأمر: «أدني سترك»؛ وفيه كذلك توجيه بالأدب والحياء والستر وعدم التكشف أمام الآخرين. وفي الجانب اللغوي نلاحظ كيف يتبادل الأمر والنهي المواقع في الاتجاه ذاته وفي التعبير عن المعنى الواحد، لكن أحدهما يغطي دائرة السلب والثاني

يغطي دائرة الإيجاب؛ ف (الفناء) هنا هو ساحة السلب و(الستر) هنا هو ميدان الإيجاب. وجاء التوجيه في النهي متعدد اللوازم وغير مباشر، أما الأمر فجاء التوجيه فيه مباشراً؛ إذ النهي عن الجلوس في الفناء يقتضي السؤال: «لماذا»؛ فيأتي الجواب: سترًا وعفةً وحياءً.

- التوجيهات التي تقع ضمن دائرة التعامل مع الزوج في المسائل الحياتية اليومية:

وهو الأكثر وروداً، ونجد توجيهاً واحداً منها في كل وصية من الوصايا الأربع. وتفسير هذا واضح؛ فإن هذه التوجيهات تتعلق بتفاصيل الحياة اليومية بين الزوجين، وهي التي تستغرق الجزء الأكبر من مجمل العلاقة بينهما، وهي الأكثر عرضة لحدوث الاختلافات والخلافات، وقد تكون سبباً في النزاع والشقاق؛ فالشيطان يكمن في التفاصيل كما يقال. وهذه التوجيهات هي: أطيعي زوجك (أسلوب الأمر)/ الوصية الأولى، ولا تكثري المراء (أسلوب النهي)/ الوصية الثانية، واصدقيه الصفاء (أسلوب الأمر)/ الوصية الثالثة، وأكرمي زوجك (أسلوب الأمر)/ الوصية الرابعة.

فهذه هي الصفات المثالية من الأمهات للإحاطة بمجمل ما يدور بين الزوجين في حياتهما اليومية، والمطلوب من الزوجة إزاء ذلك كمال الطاعة، والابتعاد عن الجدال وإكرام الزوج وإحسان معاملته، والحرص على الصفاء الدائم بين الزوجين. والعبء كله في هذا يقع على عاتق الزوجة؛ فعليها أن تنكر ذاتها وأن تتفانى في طاعته وإكرامه. وصورة المرأة في هذا الجزء طاعة خالصة، وهي تبذل أقصى وسعها في إرضاء الزوج بمعزل عن أي مقابل أو أي توقع؛ فهذا هو دورها، وهذا هو ما ينبغي أن تفعله في كل حال؛ فالزوج قبلتها ومؤشر بوصلتها في كل آن.

ويلاحظ في لغة هذا اللون من التوجيهات ظهور الزوج في أسلوب الأمر ظهوراً واضحاً؛ فقد ظهر اسماً ظاهراً مضافاً إلى ضمير المخاطبة (زوجك) في اثنتين من الجمل وضميراً متصللاً في الجملة الثالثة بعد ضمير ياء المخاطبة: أطيعي زوجك/ اصدقيه الصفاء/ أكرمي زوجك. إننا نجد المرأة المخاطبة تظهر في خمس إحالات في هذه الجمل الثلاث، فيما نجد الزوج يظهر عنصراً إشارياً مرتين وعنصراً إحالياً مرة واحدة، وتحليل الخريطة الإحالية في هذه الجمل نجد أن مدار الأمر ومناطه وغايته هو رضى هذا الزوج، أما المعنى بتنفيذه فهي المرأة التي ظهرت بوضوح في خمس إحالات ضميرية؛ إذ إنها المأمورة التي تلتزم بالتنفيذ المطلق: طاعةً وصدقاً وإكراماً. ولعل استنطاق الأفعال: (أطيعي/ اصدقني/ أكرمي) يرسم لنا مشهداً تختصر فيه المرأة كل التفاصيل وتلغيها جميعاً إكراماً للزوج ونشراً للصفاء والوثام وإبعاداً للتكدير من الحياة الزوجية؛ إنه صفاء تام لأن المرأة قد ألغت ذاتها وكانت طاعتها مطلقة، ومع أنها بدت فاعلاً في الجمل الفعلية الثلاث إلا أنها في حقيقة الأمر مأمورة مطلوب منها كل شيء، أما فاعليتها فتتبدى في الحركة الدائبة والعمل المطلق والطاعة العمياء والصدق المحض. إنها أفعال متلاحقة تنضوي ضمن إطار واحد هو الطاعة المطلقة للزوج؛ فالأمر يقتضي حضور الزوج باعتباره الذي تؤدي الأوامر لأجله ولإرضائه ولإكرامه.

أما في أسلوب النهي فيغيب الزوج عنصراً إشارياً وإن كان حاضراً بالقوة فيه: «لا تكثري المرء»، والمرء بالضرورة يحتاج اثنتين؛ فالمرء مبني على شدة الجدل والجدال لا يكون بواحد، وإن كان فعل المرء نفسه من الأفعال التي تكون لواحد كما يقول سيبويه^(٨٩). ورأي سيبويه هذا يتفق مع غياب الزوج الذي مرده أن النهي موجه إليها وحدها ولا غاية قصوى له إذ هو محكوم بالانتهاء بالصفى المطلق، خاصةً إن علمنا أن معنى المرء في اللغة: «أن يستخرج الرجل من مناظره

كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها، وأصله من مريت الشاة إذا حلبتها واستخرجت لبنها»^(٩٠)؛ فكأنما المرأة توصل زوجها إلى مرحلة الذروة من الخصومة إن مارتها؛ ولذلك جاء بصيغة النهي المطلق المحكوم بالصفير ولا يحضر الرجل فيه أبداً. إن الضمائر وفقاً -لبيرلمان- «توظف في الخطاب لتنتج علاقات مقصودة والتوجيه نحو أحكام مستهدفة»^(٩١).

- التوجيهات التي تقع ضمن دائرة مظهر المرأة ونظافتها الشخصية:

نلاحظ أن التوجيهات في هذه الدائرة مشتركة بين الوصايا الأربع؛ مما يدل على أهميتها من منظور أولئك الأمهات، وهذه التوجيهات هي: عطري جلدك (أمر)/ الوصية الأولى، التطيب بالماء (أمر)/ الوصية الأولى والثانية والثالثة والرابعة. ونجد الماء مشتركاً طيباً في وصايا النساء الأربع، وهو لازم في وصايا الهداء عند الأمهات جميعاً، بل عند الآباء أيضاً^(*)، وإن بطرائق مختلفة تجمع كلها على ضرورته. ولأن هذه الوصايا جاءت في سياق مفاضلة بين النسوة الأربع؛ فسوف نحاول عرض الطرائق والأدوات اللغوية التي استعانت بها كل رسالة في إيصال هذا التوجيه؛ فعند الأولى جاء توجيه بصيغة الأمر: «واجعلي الماء آخر طيبك». وفعل الأمر (اجعلي) من أفعال الصيرورة التي تتعدى إلى مفعولين، وقدّمت الماء مفعولاً أوّل لأهميته، ووصفته بأنه آخر الطيب، و(آخر) اسم تفضيل يعني أنّ يحتلّ الماء المنزلة العليا والذروة العالية في قائمة الطيب الذي تستخدمينه وتقبلين عليه.

وعند الثانية جاء توجيه أيضاً بصيغة الأمر: «واعلمي أنّ أطيب الطيب الماء»، وفعل الأمر «اعلمي» يعني أن يكون هذا التوجيه جزءاً من وعي المخاطبة الدائم، ومما يجدر بها تمثله والتزامه بصورة متواصلة، والفعل (اعلمي) من أفعال

القلوب التي تتعدى إلى مفعولين أيضاً، أما مفعولاه فسدّ مسدّهما المصدر المؤوّل من (أنّ) واسمها وخبرها (أن أطيب الطيب الماء)، و(أن) هذه توكيدية حاسمة في توكيدها، وهي ذات بعد انتشاري يحيط بطرفي الجملة جميعاً، ووصفت الماء بأنه أطيب الطيب على وجه التعيين. واسم التفضيل (أطيب) هنا يجعل الماء هو الطيب المرتضى عند المرأة دائماً، واقتران العِلْم (اعلمي) مع التوكيد (أنّ) يجعل هذه القاعدة قارّه في ذهن المرأة فلا ترتضي بالماء بديلاً.

وعند الثالثة يتشابه التوجيه مع الوصية الأولى، مع اختلاف في التقديم والتأخير بين المفعولين قالت: «واجعلي آخر طيبك الماء» بينما كان توجيه الأولى: «واجعلي الماء آخر طيبك»، ودلالة التقديم لاسم التفضيل مفعولاً أول في الوصية الثالثة أن هناك عدداً من الطيوب التي يمكن للمرأة أن تستخدمها، وعليها أن تجعل الماء آخرها وأحسنها وأعلىها. أما في الوصية الأولى فإن الماء مقررٌ قبلاً ليكون طيبها المعتمد والمفضل والوحيد. واختيار الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين في الوصايا الثلاث مرّده وجود متكافئين دلاليين في ذهن المرسلّة يحيل كل منهما إلى الآخر، والمخاطبة تريدهما معاً هما: الماء والطيب، وتريد المرسلّة أن تجعلهما في منزلة واحدة، ويمكن تحقيق ذلك عبر الأفعال المتعدية إلى مفعولين. أما عند الرابعة فقد جاء التوجيه بالأمر أيضاً: «واستنظفي بالماء». والسين في الفعل «استنظفي» تفيد الطلب: أي اطلي النظافة بالماء، ومعنى ذلك أن النظافة في مطلقها هي المقصودة، وأن النظافة الحقيقية والتامة إنما تطلب بالماء دون غيره، فهو وحده الذي يمكن أن يحقق لها ذلك.

إن هؤلاء الأمهات تنافسن في التعبير عن استخدام الماء بطرائق مختلفة كلّها تجمع على أهميته في حياة المرأة؛ فهو الذي يهبها النظافة والرائحة الطيبة والإشراق والقبول، وكلها ضرورية في الحياة الزوجية، بل في مطلق الحياة.

- التوجيهات التي تقع في دائرة العلاقات الزوجية الخاصة:

- نجد هذه التوجيهات واضحة في الوصيتين الثالثة والرابعة، وإن كانت التوجيهات الخاصة بالنظافة الشخصية وتعطير الجلد تفضي إليها بصورة أو بأخرى -من وجهة نظرنا- وتغيب توجيهات هذه الدائرة عند اثنتين من الوصيات مما يومي إلى حرج ما عند الأمهات من تناولها. أما هذه التوجيهات فهي:
- «لا تطاوعي زوجك فتمليه، ولا تعاصيه فتشكيه»/ (أسلوب النهي)/ الوصية الثالثة.
 - «واجتنبى الإباء»/ (أسلوب الأمر)/ الوصية الرابعة.

وفيما التزمت الوصايا السابقة المباشرة في التوجيه إلا أن هذا الموضوع لم يأت مباشرةً بالدرجة ذاتها، وهذا ملمح مهم من الملامح المميزة لوصايا الأمهات بإزاء وصايا الآباء؛ فالأمهات يشرن إلى هذا الموضوع (العلاقات الجنسية بين الزوجين) إشارة ويتركن للبنات حصافة الفهم والترجمة، أما في وصايا الآباء فالأمر أكثر وضوحاً ومباشرة^(*)، ولعل هذا من التجليات الاجتماعية الواضحة لعلاقة اللغة بالجنس (الذكورة والأنوثة)؛ فالرجل أكثر جرأة في بعض الموضوعات من المرأة.

وهناك تباين واضح بين وجهتي نظر المرسلتين في موضوع العلاقات الجنسية بين الزوجين؛ فالثالثة تطلب من ابنتها عبر أسلوب النهي أن تكون معتدلة في استجابتها لمطالب زوجها في هذا الشأن؛ فلا تطاوعه في كل مطالباته، بل أن تتمتع عليه أحياناً؛ فإن مطاوعته المطلقة في هذا الموضوع ستفضي بها وبه إلى الملل، كما أن تمنعها الدائم عليه ومعاصاته في هذا الشأن قد تؤدي إلى غضبه ونفوره منها وانصرافه عنها مما يدفعها إلى الشكوى من هذا النفور. إنها ببساطة، تقدّم لها وصفة تضمن دوام إقبال الزوج عليها، من وجهة نظرها؛ وقوام هذه الوصفة التوسط؛ فخير الأمور أوسطها، والتوسط يبعدها عن الملل من جانب،

وعن الإهمال من جانب آخر. إنها تريد لها علاقة زوجية صحية يبقى من خلالها الزوجان في محبة واشتياق دائمين، واستخدام الفعلين «تطاوعي» و«تعاصي» فيه معنى المشاركة، وفيه إشارة خفية إلى أن هذا الموضوع يتطلب إقبالاً مشتركاً من الطرفين، وهذا هو الوضع الصحي في مثل هذه العلاقات.

أما الرابعة فتقدم وجهة نظر أخرى في الموضوع، وتطلب منها اجتناب الإباء مطلقاً، وأن تكون موازية له في كل ما يطلب، وأن لا تتمتع عليه أبداً، وربما كان هذا من وجهة نظرها هو الوصفة المثالية لضمان إقبال الزوج على ابنتها، وفي الفعل «اجتني» تحذير واضح بهذا الاتجاه، ومعناه أن مغبة عدم الالتزام ستكون كبيرة على تلك العروس. وبمعزل عن هذين الرأيين، فإن المؤكد أن الأمهات يتوجهن بكل هذه الوصايا لبناتهن وبكل هذه الأساليب طمعاً في رضى الزوج المنتظر؛ مما يشي ثانياً أن الرجل هو محور حياة المرأة ومركزها وغايتها بصورة متفردة ومتضخمة وكبيرة، بمعزل عن حاجاتها هي أو رغباتها هي أو ما تريد.

إن حركة المرأة في الدوائر السابقة جميعها تدور كلها حول غرض رئيس واحد هو إرضاء الزوج وإسعاده، وتبدو المرأة في أمرها كله هنا كائناً منهمكاً في تحقيق هذا الغرض بكل ما أوتيت من قوة، ويبدو الزوج كائناً مدلاً تُوجه لإسعاده كل الطاقات، كما أن الأمهات يتنافسن في تقديم خلاصة وصفة السعادة من واقع تجربتهن، وقد يختلفن في بعض التفاصيل لكن الأطر العامة لهذه الوصفة ثابتة وواضحة ومتفق عليها، وهي مستوحاة من رؤى المجتمع وقيمه وممارساته وفهمه لكل من أدوار الرجل وأدوار المرأة وطبيعة العلاقة بينهما.

إن اعتماد الوصية على صيغ الأمر والنهي يجعل اللقاء بين طرفي الخطاب مباشراً داخل مكان وزمان محددين، فيتحقق الإنجاز حين يتحول المنتج اللغوي

إلى عمل إجرائي. ومن جهة أخرى فإن صيغ الأمر والنهي يظهران سلطة الأم المرسله في ذلك المجتمع، وتمكننا من القول إن أوامرها كانت نافذة ومؤثرة. إن الوقوف على البنى اللغوية والصيغ اللغوية بهذه الطريقة المبصرة مرتبط بالوظيفة التفاعلية للغة؛ فالنص يعكس مواقع المتكلمين الاجتماعية وخصائصهم التلفظية، والمعنى «لم يعد يلتبس في البنية اللغوية المجردة، ولكنه يعرف من خلال الانفتاح على السياقات التي تستوعب الكلمات والعبارات والمجالات المعرفية داخل الخطابات»^(٩٢).

أما الوصية الثرية الرابعة فهي مختلفة عن كل ما سبقها من وصايا، وقد رويت بروايات مختلفة لكنها متقاربة في الجمل، وسنعمد رواية ابن قتيبة في عيون الأخبار لأنها الأقدم، وجاء فيها: «أوصت أعرابية ابنتها ليلة هداها قالت: «أقلعي زج رحمة فإن أقرّ فأقلعي سنانه، فإن أقرّ فأكسري العظام بسيفه، فإن أقرّ فأقلعي اللحم على ترسه، فإن أقرّ فضعي الإكاف على ظهره فإنما هو حمار»^(٩٣).

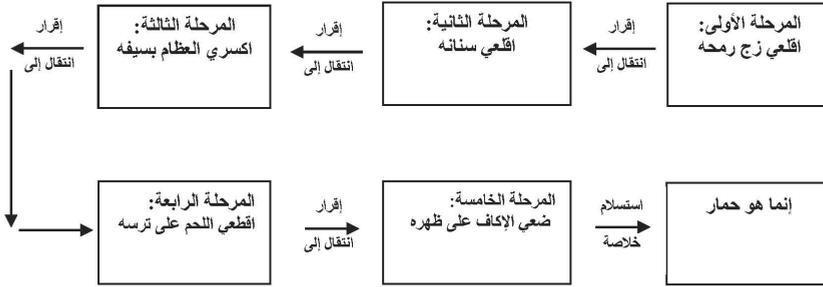
وقدم التجاني للوصية بقوله: «وكان نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج؛ فكانت المرأة تقول لابنتها: اختبري زوجك قبل الإقدام والجرأة عليه، فانزعي زج رحمة فإن سكت...^(٩٤). وقد صنّف الدليمي هذه الوصية مع الوصايا الجاهلية مع أنها تفتقر إلى الفترة الزمنية التي قيلت فيها، لكن روحها تشي بذلك^(٩٥).

ويطلق بعض الدارسين على هذه الوصية وما شابهها اسم «الوصايا الشاذة»^(٩٦)، ولعل مرد ذلك، فيما يراه الدليمي، أن وصايا الهداء في العادة تدعو إلى مكارم الأخلاق، أما هذه الوصية فلا، وأنها «تتفرّد عن بقية الوصايا

بما تحمله من صيغ وتراكيب ألفناها عن الموصين في الجاهليّة والإسلام»^(٩٧). ويذهب إلى أن وصية هذه السيدة «تعريضٌ غير مباشر بالرجل، وإن كان الخطاب موجهاً إلى المرأة؛ فهي لا ترضى للرجل أن يخلبه جمال المرأة فيكون ضعيفاً أمامها ومستسلماً لها، ولا ترضى لزوج ابنتها أن يكون على هذه الحالة الواهنة المستكينة، وأن أهم ما يميز الرجل عن المرأة رجولته»^(٩٨). ويحاول أن يستنتج غرض الوصية فيقول: «وأحسب أنها تنبّه الرجل من خلال ابنتها إلى كونه رجلاً، ويجب أن لا يغلب عليه هوى المرأة فيذل ويضعف»^(٩٩).

وأرى أن الوصية ليست شاذة، وأنها لم تخرج عن مكارم الأخلاق التي تعارفها العرب في ذلك الزمان، كما أنها لم تكن درساً في اختبار الأزواج بقصد التجاسر عليهم، بقدر ما هي دعوة للمرأة أن تختار الرجل الحقيقي الذي يأبى الضعف والوهن والاستكانة والاستسلام أمام جمالها. وأرى أيضاً أن المخاطب بهذه الوصية ليس الرجل وحده، كما رأى الدليمي، وإنما الرجل والمرأة معاً؛ فعلى الرجل ألا يقبل أن تمتحن المرأة رجولته على هذا النحو المشين، وعلى المرأة أن لا ترتضي لها زوجاً بهذا الاستسلام المعيب؛ إنها باختصار دعوة للرجولة من طرف الزوج، ودعوة للاحتفاء بهذه الرجولة ونبذ الاستكانة والضعف من طرف الزوجة.

وتقوم الوصية على أسلوبَي الأمر والشرط، باستثناء جملة الختام التي جاءت خبرية مؤكدة بأسلوب الحصر. وهي تعتمد على تعدد المراحل؛ فإن تحققت المرحلة الأولى انتقلت الوصية بالمخاطبة إلى المرحلة الثانية، وهكذا، حتى نصل إلى المرحلة النهائية حيث ينتفي الشرط ويختفي، ونصبح وجهاً لوجه أمام النتيجة النهائية ومشهد الختام. وفي المراحل نفسها التزمت الوصية بأسلوب الأمر، أما الانتقال من مرحلة إلى أخرى فالتزمت فيه أسلوب الشرط ممزوجاً بالأمر، ويمكن تمثيل ذلك من خلال الشكل (٣) على النحو الآتي:



(الشكل ٣)

أما لماذا اختارت الأم الأسلحة نموذجاً تشبيهاً لاختبارات الحياة واستباحة الرجل تماماً في هذا الموقف؛ فلأن «أعز ما يملكه الرجل في ذلك العصر آلة الحرب وعدتها: السيف، والرمح، والترس، والفرس، وغير ذلك؛ فإذا هانت عليه عدة الحرب التي فيها قوام حياته وعليها مدار معاشه، هان عليه أي شيء آخر في حياته»^(١٠٠). والرجل الذي يهون عليه سلاحه مضيق لأهله، وغير جدير بالائتمان عليهم.

وتمتاز المراحل بالتدرج، وكل مرحلة أشق من التي قبلها، وأكثر جراءة وتمادياً مع الزوج، تبدأ بقلع زج الرمح، والرمح هو خط الهجوم الأول للمحارب، والرمح يستخدم في القتال عن بُعد، أما (الزج) فهو «الحديدة التي تركب في أسفل الرمح وبه تركز الرمح في الأرض»^(١٠١)؛ فالمرحلة الأولى تبدأ بأسفل الرمح وقاعدته وما يرتكز به على الأرض فيصبح الرمح في الهواء ولا يكون مريحاً للمحارب. أما المرحلة الثانية فتنتهي مرحلة الهجوم الأول تماماً وتقضي عليها، وذلك حين تقلع سنان الرمح، والسنان «يركب عالية الرمح وبه يطعن»^(١٠٢)؛ فيصبح الرمح عاطلاً عن الطعن تماماً وفاقداً لعوامل قوته من أعلى ومن أسفل؛ أي جميعاً.

أما المرحلة الثالثة فتصل بها إلى السيف وهو خط الهجوم الأخير، والقتال فيه يكون مباشراً ووجهاً لوجه ومن مسافة صفر تماماً، وبعد ذلك تصل إلى الترس وهو خط الدفاع الأخير، حينها يصبح الزوج مجرداً من كل الأسلحة الهجومية، ويكون كذلك قد ألقى بخط دفاعه الأخير واستسلم كلياً، وأصبح مستباحاً تماماً لهذه الزوجة وهذه هي المرحلة الرابعة، وحينئذ يكون قد استحق أن يطلق عليه وصف «حمار»؛ وعبرت المرسله عن ذلك بأسلوب الحصر: «فإنما هو حمار»، وهذه الفاء هي فاء العاقبة وفاء السبب معاً، و(إنما) هذه معناها أنه حمار ولا يمكن أن يكون إلا كذلك؛ ذلك أن من يلقي بأسلحته جميعاً على هذا النحو يفتقر إلى أي جرعة من الذكاء أو الشجاعة. وفي هذا الوصف تقييح وتكريح لل بنت من الرضى يمثل هذا الزوج، الذي لم تصفه بالزوج أو البعل أو القرين بل وصفته بالحمار على وجه الحصر، وفي التعبير تحذير كذلك للرجل أن يصل إلى هذه المرحلة من انعدام الشخصية والرجولة وهذا الاستسلام المشين.

ولا ريب أن الأم ذكيّة، وهي تعلم ابنتها أساليب ذكية تحفظ لها خط الرجعة كما يقولون؛ وذلك من خلال التدرج بالخطوات؛ فالاندفاع نحو قرارات كبيرة دون إجراءات مرحلية مجزأة محسوبة النتائج قد يعرضها للمخاطر وإغضاب الزوج وانتقامه، والخطة المطلوبة هي العمل المتدرج مع تتبع ردود أفعال الزوج ورصدها رصداً دقيقاً لتتخذ، من ثم، خطواتها التالية بدهاء، وعبرت عن ردود أفعاله بقولها: «فإن أقر» في كل مرحلة، وفي الرواية الأخرى «فإن سكت»^(١٠٣)، والإقرار مشتق من الفعل (أقرّ)، وأقرّ الإنسان بالشيء: «جعلته في قراره حتى استقر واطمأن له، وقد يبلغ به ذلك حدّ الرضى»^(١٠٤)، وهو -فيما أرى- أبلغ من السكوت؛ فقد يكون مع السكوت عدم الرضى، أمّا الإقرار ففيه موافقة ورضى واطمئنان حتى يصل به إلى أن يستقر في فؤاده فيصبح واقعاً؛ فيكون

حينئذٍ قد سلّم قياده تماماً للمرأة وهو خلاف طبيعة الأشياء في ذلك المجتمع؛ فالفعل في هذا الخطاب كله للمرأة وليس للرجل فيه إلا رد الفعل، وهو رد فعل منهزم مستكين ضعيف قوامه الاستسلام المطلق.

ونجد في رواية التجاني كذلك لفظة «الصبر»؛ إذ تقول الموصية في خاتمة الوصية: «فإن صبر فاجعلي الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك»^(١٠٥)، ولا أظن الأمر المائل هنا صبراً على الإطلاق؛ فالصبر إمساك النفس عن إرادة واقتدار، وما تصفه الوصية هنا استسلام مشين وامتهان لا نظير لهما، ولا أظن أن المرسلة استحضرت الصبر إلا من قبيل التهكم والتقبيح، ودليلنا أن هذه الرواية جعلت ختامها الأخير عجيباً تقول: «فاجعلي الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك»؛ حيث تُظهر حركة الضمائر والألفاظ في هذا الجزء من الرواية الزوج كائناً غائباً؛ غائب الإرادة وغائب المشاعر وغائب الفعل، وتكفّلت لفظة (ظهره) والضمير المتصل بما بهذا المعنى. أما الزوجة فهي المخاطبة الحاضرة الفاعلة في المشهد كله، والمرسلة تأمر ابنتها أن تجعل الإكاف على ظهره، والإكاف هو شبه الرحال والأقتاب التي توضع على الدابة^(١٠٦)، وفي الكلمة إمعان في التحقير والإذلال والتمثل الكامل لمشهد الحمار، فنرى الزوج يتقبل الأمر دون أن يحرك ساكناً؛ ولذا استحق أن يصبح من أملاكها الخاصة «حمارك»: حمارك أنت؛ حيث تذوي إرادته وفعله ويصبح تحت سيطرتك وفي دائرة فعلك أنت، وتكفّلت الإضافة المعنوية «حمارك» بهذا المعنى؛ فالإضافة هنا لا على نية الانفصال كما يقول النحاة، وإذن لم يعد هنالك إرادتان، بل إرادة واحدة هي إرادتك أنت، ولم يعد هنالك فعلاً بل فعل واحد هو فعلك أنت.

ويلاحظ أن أفعال النص الأمرة تمتاز بشدّتها وقوّتها: (اقلعي، اقلعي، اكسري، اقطعي، ضعي)؛ فالقلع مكرراً مرتين والكسر والقطع والوضع كلّها

إجراءات بالغة القسوة، وتكفل صوت العين بإظهار هذه الشدة؛ فهو صوت حلقي احتكاكي مجهور وهو من أصوات الاستعلاء عند القدامى، كما أنه من أنصع الأصوات نطقاً أي أوضحها في السمع كما رأى الخليل^(١٠٧). لكن هذه الشدة صادرة عن المرأة؛ فكأنما القوّة والشدة انتقلت إلى المرأة أما الرجل فاكتمت طوال النص بفعل واحد هو الإقرار؛ الإقرار الذي حوّلته إلى كائنٍ مسلوب الإرادة أو «حمار» يمتطى حسب، وفي هذه الصورة مغايرة لما ينبغي أن تكون عليه الأمور في بيت الزوجية من قوامة الرجل والطاعة المطلقة من الزوجة، كما صوّرت ذلك النصوص السابقة جميعاً.

أما لماذا «الحمار»؛ فلأنه كائن مطواع مسلوب الإرادة أمام صاحبه، مهما كانت معاملة هذا الصاحب له؛ فهو لا يحتج ولا يعترض ولا يئن، سهل الامتطاء لا يقاوم كما يفعل الحصان عند ترويضه، وهو بهذا يبدو عنصراً مناسباً للصورة التي أرادت الأم المرسلّة أن ترسمها، وربما لتضمن أكبر قدر من التبغيض والتكريه والتقييح لصورة هذا الزوج الذي لا يجدر بابنتها أن تقترن به.

إن الأم المرسلّة الآمرة تبدو ذات سلطة كبيرة في هذا النص، وإلا لما أرسلت هذا الخطاب القوي الصريح، وهي تستمد قوتها في هذه الوصية من أمرين: الأول: كونها أمّاً ذات تجربة، وهي بهذا مصدر ثقة للمتلقية البنت، والآخر: من أعراف المجتمع التي تأبى على الرجل أن يكون بلا إرادة أو أن يكون ألعوبة بيدي المرأة تحركه كيف تشاء.

ولا ريب أن سمّت هذه الوصية مختلف عن سابقتها في الشكل العام، وربما في الأدوات والتراكيب والمفردات، أما الدلالة النهائية والغرض النهائي فهو هو لم يتغير ولم يتبدل. إنه يكرّس الرجل سيداً مطلقاً يتأبى على الانصياع والخضوع،

ولا ينبغي للمرأة في ملكه إلا أن تكون أمة. وقد نتباين في قبولنا لهذه القراءة النهائية للنص ولا ضير؛ فإن المعنى كما يقول (أنطوني ريدنج): «ليس خاصية تامة للأشياء أو الأحداث ولكنه شيء يسنده الملاحظ إليها، ومن ثم فإن أفراداً مختلفتين وفصائل مختلفة يمكنهم أن يسندوا معاني مختلفة للمعلومة نفسها»^(١٠٨). ولأن تحليل الخطاب مبني على البحث في الوظيفة التواصلية للنص، فقد يقدم قراء مختلفون تحليلات مختلفة للنص الواحد شريطة أن يلتزم أولئك القراء بالمسارات التي تحددها الملفوظات؛ «فكل ملفوظ يحمل في صورته مساراً لولوج دلالاته ودليلاً لتأويله وفقاً لموشلر»^(١٠٩).

الخاتمة والنتائج:

تناولت هذه الدراسة تحليل الخطاب في وصايا الهداء عند الأمهات في التراث العربي حتى القرن الرابع الهجري، متوسلةً ببعض منجزات منهج التحليل النقدي للخطاب، التي تمكننا من الكشف عن الطرائق التي يحقق بها النص أغراضه التداولية؛ وذلك بالكشف عن الطاقة الدلالية التي يختزنها النص عبر إمكانات التأليف داخله.

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: أن موضوع الزواج وجد محلاً بارزاً في وصايا العرب القدامى لأبنائهم، ومن أبرز صوره وصايا الهداء التي تختص بوصايا الآباء والأمهات لبناتهم قبيل الزفاف، وتعد سنة متبعة عند العرب القدامى على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية. ولفظة (الهداء) -على الأرجح- متصلة بسبب وثيق بالهداية والرشاد.

والأم هي المرسل المعتاد فيها، كما أن البنت هي المتلقي الوحيد دون الذكر، وذلك لاعتبارات اجتماعية متعددة كشف عنها البحث، كما كشف عن سمات

خاصة تميّز خطاب الهداء عند الأمهات، وأنّ الاتصال فيه يعد عملية خاصة محكومة باعتبارات السياق الخاص وهو الزفاف، ومحكومة كذلك باعتبارات السياق العام الذي تضبطه أعراف ذلك المجتمع وأنساقه الاجتماعية والثقافية. ويسيطر على هذه الوصايا غرض رئيس واحد هو تزويد البنت بما يمكنها من شق حياتها الجديدة بنجاح. أما عملية التلقي فهي مباشرة ومتعددة المراحل؛ وتشمل مرحلة التلقي الخارجي الذي يظهر لنا على سطح الخطاب وتبدو فيه البنت/ العروس مصغية مستمعة تستقبل كل ما يلقي عليها بإذعان تام. ومرحلة التلقي الداخلي الذي يشتمل على تفاعل خطاب الوصية مع نفسية المتلقيّة ومخزونها الاجتماعي والثقافي، وهو تلقٍ واعٍ متجدد تختبره المرأة في كل موقف وكل اتصال بالزوج الذي يشكل كونها الجديد. وهو كذلك تلقٍ حي متفاعل مجبول بسطوة الأنساق الثقافية والاجتماعية الضاغطة من ذلك المجتمع والحاكمة في ذوات أولئك البنات.

أما قلة عدد وصايا الهداء عند الأمهات الذي وصلنا فيعزى إلى خصوصية هذا الخطاب من جهة، وقلة عناية الرواة بمرويات النساء في ذلك المجتمع من جهة أخرى. وجاء أكثر هذه الوصايا نثراً؛ ربما لأنه أقدر على توصيل الغرض وتوضيح الفكرة، وهو كذلك يمنح المرسل قائمة متنوعة من الخيارات التركيبية والأسلوبية التي يحتاجها هذا الضرب من الخطاب.

وتنحو هذه الوصايا في العادة منحى إيجابياً يجمع ما يظنه الموصون نصائح خيرة فيها صالح الزوجين، والوصية الوحيدة التي قد تبدو مخالفة لهذا ونراها تدعو إلى الجراءة على الزوج يمكن قراءتها في نهاية المطاف قراءة إيجابية تمثل دعوة للرجولة الحقة من طرف الزوج والاحتفاء بهذه الرجولة من طرف الزوجة.

وقد اعتمدت الأمهات في تحقيق أغراض الخطاب على وسائل ووسائل سابقة كالتداء والتصغير، أو لاحقة كالإشارات الزمانية والمكانية. كما اتكأت المرسلات الأم على عدد من التشكيلات اللغوية التي تباين حالة الأصل بالنسبة للمفعول به من مثل: تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، وكذا استعاضتها عن المركب الوصفي للمفعول به بالمركب الإضافي، وكذلك استعمالها أسلوب الاشتغال الذي يفرد المفعول به بؤرة للخطاب وذلك لإحداث نوع من التخصيص لبعض المفردات التي تعدّها مهمة كالخصال الواجب توافرها في الزوجة أو للتركيز على الزوج وما يتصل به لأهميته وقوامته في الحياة الزوجية.

ووجدنا الأم المرسلات تتوسل بعدد من المؤثرات اللغوية لإحداث حركة الوعي بمضمون الخطاب في هذه الوصايا؛ ومن ذلك المؤثرات المتصلة بسلطة المركز الاجتماعي للمتلقية وما يمليه عليها ذلك من سلوك منضبط ومحسوب؛ من مثل النداء بلقبها أو صفتها، وكذلك المؤثرات المتصلة بسلطة المرسلات المستمدة من موقعها أمّاً ومن خبرتها في الحياة، وتبدّى ذلك من خلال حركة الضمائر في النصوص، وفي حركة الأفعال وقوتها وأدوات التوكيد. ويحضر الدعاء شكلاً لغوياً فاعلاً في وصايا الأمهات باعتباره ترجمة حية للإستراتيجية التضامنية؛ فهو يشير إلى مشاعر خاصة من طرف الأم تجاه ابنتها. ويشير تحليل الخرائط الإشارية والإحالية في هذه النصوص إلى أن الزوج هو المحور فيها، وحركة المرأة في الدوائر الحياتية التي يذكرها هذا الخطاب تدور كلها حول غرض رئيس واحد هو إرضاءه؛ إذ تبدو المرأة في أمرها كله كائناً منهمكاً في تحقيق هذا الغرض بكل ما أوتيت من قوة.

أما التوجيهات التي تقدمها الأم المرسلات فتشمل دوائر الحياة جميعها، لكنها تركز على دائرة الآداب العامة ودائرة التعامل مع الزوج في المسائل التفصيلية للحياة

اليومية التي هي مكنم الخلافات المتكررة بين الزوجين، وتشمل التوجيهات كذلك دائرة العلاقات الزوجية الخاصة، وتشير الأمهات إلى العلاقات الجنسية بين الزوجين في هذه الوصايا إشارات تلميحية بعيدة وغير مباشرة، فيما وجدت الباحثة هذا الموضوع أكثر انكشافاً ووضوحاً عند الآباء؛ وذلك لاعتبارات لغوية ذات بعد اجتماعي يتصل بالمقبول وغير المقبول في لغة الخطاب عند الجنسين بحسب ذلك المجتمع. وقد تباينت وجهات نظر الأمهات حول هذه العلاقات الخاصة بين الزوجين وطبيعتها، إلا أنهن جميعاً يقصدن إلى غرض واحد هو تحقيق الرضى المطلق للزوج المنتظر الذي يشكّل محور حياة المرأة ومركزها بصورة متفردة بغض النظر عن حاجات المرأة ورغباتها وما تريده من هذه العلاقات. ولا ريب أن التوجيهات المتصلة بمظهر المرأة وكحلها وزينتها ونظافتها الشخصية تفضي إلى هذا الموضوع وتتقاطع معه بشكل أو بآخر؛ إذ إنهما (الماء والكحل) يحظيان بحضور خاص يطرد في وصايا الأمهات كلها تقريباً. وقد عبّرت الأمهات عن أهمية الماء في الحياة الزوجية بطرائق مختلفة كلها تجمع على خطورة دوره في تلك الحياة؛ فهو الذي يهب المرأة النظافة والرائحة الطيبة والإشراق والقبول وكلها ضرورية في الحياة الزوجية بل في مطلق الحياة، ولعل مرد التنبيه المتكرر عليه هو طبيعة الحياة العربية في ذلك الزمان القائمة على الارتحال والتنقل وتعذر الحصول على الماء أحياناً.

وتعتمد معظم وصايا الأمهات على الإستراتيجية التوجيهية المباشرة في الخطاب، ويأخذ الاتصال فيها شكلاً مباشراً. وتمثل هذه الإستراتيجية في سلسلة من الأوامر والنواهي المشفوعة بالتعليل غالباً؛ إذ يختلط التوجيه بالإقناع. وتتوسل هذه الإستراتيجية بأشكال لغوية متعددة؛ وعلى رأسها صيغ الأمر والنهي على تنوعها، وأسلوب التحذير بـ (إياك) الذي يعد وعاءً تركيبياً مرغوباً

في خطاب الهداء لأن فيه تركيزاً أكبر على بؤرة الخطاب التي تتصل -غالباً-
بالأسباب المتعددة الموصلة إلى الطلاق كالغيرة والمعاتبة؛ إذ يشكّل الطلاق شبحاً
مرعباً وخطراً كبيراً تجهد الأمهات في إبعاده عن بناتهن بشتى السبل وبعدد كبير
من التوجيهات والأساليب اللغوية المتنوّعة، وهو خطر يضع المرأة في مهيب
الريح، وهو ما كانت الأمهات تخشاه أشد الخشية في ذلك الزمان القديم وربما
في هذا الزمان الحديث أيضاً؛ فالمرأة -عندهم- إنما تستمد وجودها من وجود
الزوج في حياتها، وهذا يفسّر لنا هذا الحرص الشديد على توجيه البنات نحو
كمال الطاعة، ويفسّر كثرة أساليب التحذير من كل ما يمكن أن يفضي إليه.
وربما فتح هذا البحث باباً على دراسات اجتماعية لغوية أكثر عمقاً في مسألة
الزواج والطلاق عند العرب، وكيف يتهدد الطلاق المرأة في هذا المجتمع لدرجة
أن يجعلها أمةً خالصةً في فلك زوج.

الهوامش والتعليقات:

- (١) بنكراد: سعيد، سياق الجملة وسياقات النص: الفهم والتأويل، بحث في كتاب «لسانيات النص وتحليل الخطاب»، من بحوث المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجمعية المغربية لللسانيات والنص وتحليل الخطاب، جامعة ابن زهر/كلية الآداب والعلوم الإنسانية/أغادير/المغرب، دار كنوز المعرفة، عمان، ط ١، ٢٠١٣، ص ٦٧١.
- (٢) المرجع السابق، ص ٦٦٩.
- (٣) مصطفى: أحمد أمين، أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٩.
- (٤) الفريخ: سهام، فن الوصايا في الأدب العربي القديم، مكتبة المعلا، الكويت، ط ١، ١٩٨٨، ص ٧-٨.
- (٥) منها: «تاريخ العرب قبل الإسلام» للأصمعي، و «كتاب الوصايا» لدعبل الخزاعي، وكتاب «وصايا ملوك العرب» ليحيى بن الوشاء، و «الدرة المضية في الوصايا الحكمية» لأبي بكر الشيباني، وكتاب «المعمرون والوصايا» لأبي حاتم السجستاني. انظر: الأصمعي: عبد الملك بن بن قريب (ت ٢١٧هـ) تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق محمد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية، ط ١، ١٩٥٩. و الخزاعي: دعبل بن رزين (ت ٢٤٦هـ) كتاب وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، تحقيق نزار أباطة، دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٩٩٧. والوشاء: محمد بن إسحاق بن يحيى (ت ٣٢٥هـ)، وصايا ملوك العرب في الجاهلية، مخطوط. والشيباني: أبو بكر تقي الدين بن علي بن عبد الله (ت ٧٩٧هـ)، الدرة المضية في الوصايا الحكمية، تحقيق ودراسة صلاح الدين خليل، مطبعة الفردوس، ١٩٨٩. والسجستاني: أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت ٢٤٨هـ)، المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٦١.
- (٦) منها: بحوث الدكتورة سهام الفريخ التي جمعتها في دراستها: «فن الوصايا في الأدب العربي القديم، وقد كان لها السبق في تقديم هذا اللون من النثر إلى القارئ العربي، وسناء ناجي المصرف في دراستها: «وصايا الآباء إلى أبنائهم خلال عشرة قرون» و «الوصايا الإسلامية»، وأحمد أمين مصطفى الذي درس «أدب الوصايا في القرن الرابع الهجري»، وأحمد يوسف في كتابه: «قراءة في أدب الوصايا»، وقدّم محمد نايف الدليمي جهداً علمياً مبرزاً في إصداره «جمهرة وصايا العرب» في عدة أجزاء، واشتملت جهرته على دراسة متميزة عن الوصايا

=وأواعها وأشكالها عبر العصور. انظر: سهام الفريح، فن الوصايا في الأدب العربي، مرجع سابق. والمصرف: سناء ناجي، وصايا الآباء إلى أبنائهم خلال عشرة قرون: دراسة ونصوص، بغداد، بلا تاريخ. والمصرف: سناء ناجي، الوصايا الإسلامية، الدار العربية للموسوعات، بغداد، ط ٢٠٠٢، ١. وأحمد أمين مصطفى، أدب الوصايا في القرن الرابع الهجري، مرجع سابق. وخليفة: أحمد يوسف، قراءة في أدب الوصايا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨. والدليمي، محمد نايف، جمهرة وصايا العرب، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩١.

(٧) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ص ١٨
(٨) سهام الفريح، فن الوصايا في الأدب العربي، ص ١٧. وانظر هذا المعنى أيضاً لدى: أبو ليلى، فرج محمود، تاريخ الوصايا، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط ١، ١٩٩٧، ص ٣.
(٩) يشير الكثير من الدارسين المحدثين إلى أن هذا الضرب من الأدب لم يظفر بما هو أهله من الاهتمام والدراسة على الرغم من تميزه أسلوبياً ومضموناً، ومن هؤلاء الدارسين أحمد أمين مصطفى، وإميل ناصيف وأحمد يوسف خليفة. انظر: أحمد أمين مصطفى، أدب الوصايا في العصر العباسي، ص ٢٤١. وناصر: إميل، أروع ما قيل من الوصايا، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٥، ص ٧. وأحمد يوسف خليفة، قراءة في أدب الوصايا، ص ٢٢.
(*) اختلف في كتابة الهمزة في كلمة (استراتيجية) عند الدارسين؛ فمن وصلها بقياساً على اللفظ العربي (مصدر لفعل غير رباعي)، ومن قطعها فعلى أنها لفظ أعجمي معرب ك (إستبرق)، وقد قطعتها الباحثة ترجيحاً للرأي الثاني.

(١٠) انظر هذه الدلالات الثلاث في: ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير البعلبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، مادة (وصي). والجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٨٧، ج ٢/ص ٥١٥، مادة (وصي). والزنجشيري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ) أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٦، مادة (وصي). وابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠، مادة (وصي). والفيروز أبادي: محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) القاموس المحيط، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ج ٤، ص ٣٩٢، مادة (وصي). والزبيدي: المرتضى أبو الفيض محمد بن محمد (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإعلام/ الكويت، ١٩٧٤، =

- = مادة (وصي). وإبراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط، إشراف حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٣، مادة (وصي).
- (١١) انظر هذه الدلالة في: الأزهرية: أبو منصور محمد بن أحمد المروري (ت ٣٧٠هـ) معجم تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الصادق للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠، ٢٦٨/١٢، مادة (وصي). وابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩، ١١٦/٦، مادة (وصي).
- (١٢) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (وصي). وابن منظور، لسان العرب، مادة (وصي).
- (١٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصي)
- (١٤) الجرجاني: علي بن محمد (ت ٥٨٤هـ)، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٣، ص ١٩٥.
- (١٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١١٦/٦، مادة (وصي).
- (١٦) ابن منقذ: أسامة (ت ٥٨٤هـ)، لباب الآداب، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب السلفية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧، ص ١.
- (١٧) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ١٨.
- (١٨) سهام الفريخ، فن الوصايا في الأدب العربي القديم، ص ٢١.
- (١٩) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ٢٠.
- (٢٠) انظر: سناء ناجي المصرف، وصايا الآباء إلى آباؤهم خلال عشرة قرون، ص ٦٣. والدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ٢٢-٢٣.
- (٢١) انظر: سناء ناجي المصرف، وصايا الآباء إلى آباؤهم خلال عشرة قرون، ص ٦٢.
- (٢٢) أبو حاتم السجستاني، المعمرين والوصايا، ص ١٥. والأصفهاني: الراغب أبو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الآثار، بيروت، ١٩٨٠، ١١٧/ ٢. ومن وصايا هذه الصورة أيضاً وصية أكنم بن صيفي لبنيه: «... وإياكم ونكاح الحمقاء؛ فإن نكاحها غرر، وولدها ضياع...» انظر: الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ، ١٨٢/٢. وكذا وصية القلمس لبنيه، وفيها: «أوصيكم بأياماكم خيراً، شدوا حجبتن، وأنكحوهن أكفاءهن، وأيسروا الصداق بينكم تنفق أياماكم ويكثر نسلكم، فإن نكحتن في العرب فاختروا لكم ذوات العفاف =

=والحسان أخلاقاً... انظر: أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص ١١١ وما بعدها. ومنه كذلك وصية مالك بن المنذر البجلي إلى ابنه، ومنها: «وزوجوا الأكفاء، وليستعملن في طيبهن الماء، وتجنّبوا الحمقاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون...» انظر: المعمرون والوصايا، ص ١٢٣-١٢٤. ومنها كذلك وصية سعد العشيرة لابن له لما حضرته الوفاة، قال: «..... وإياكم ونكاح الورهاء؛ فإنها أدوأ الداء..» انظر: المعمرون والوصايا، ص ١٢٢. ومن وصية عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة لابن له: «وزوجوا بنات العم بني العم فإن تعديتم بمن إلى الغرباء فلا تألوا بمن الأكفاء...» انظر: الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين القرشي (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، شرحه وكتبه هوامشه الأستاذ عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢، ج ١٧٨/٩. وابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ)، شرح نوح البلاغة، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط ١، ١٩٩٥، ٢٥٥/٤. ومنه كذلك وصية عوف بن كنانة الكلبي لابن له ومنها: «... ولا تضعوا الكرائم إلا عند الأكفاء، وابتغوا لأنفسكم المعالي، ولا يخبئكم جمال النساء عن صراحة النسب؛ فإن مناكحة الكرام مدارج الشرف،.....» المعمرون والوصايا، ص ١٣٥-١٣٧. ومنه وصية حصن بن حذيفة لابن له: «وأنكحوا الكفاء الغريب فإنه عز حادث» انظر: الأبيشي: بماء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٥٤هـ)، المستطرف من كل فن مستطرف، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩، ج ٢/٢ ص ٢١٩.

(* الزواج المؤلف المتعارف عند غالبية الجاهليين هو نكاح الناس اليوم، وهو أن يخاطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم يعقد عليها. وكانت قرينش وكثير من قبائل العرب على هذا المذهب الذي يقوم على الخطبة والمهر والإيجاب والقبول، ويسمى «زواج البعولة»، وهو زواج منظم، وهو الذي أقره الإسلام. انظر: علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، بغداد، ط ٢، ١٩٧٨، ص ٢٣. وانظر كذلك: الترماني: عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام: دراسة مقارنة في مجال التاريخ والآداب والشريعة، دار القلم العربي، حلب، ط ٢، ١٩٨٩.

(٢٣) انظر مادة (هدي) في: الفراهيدي: الخليل بن أحمد (١٧٠هـ)، العين، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣. وابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (٢٤٤هـ) إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩. وابن دريد، جمهرة اللغة. والأزهري، تهذيب اللغة. وابن فارس، مقاييس اللغة. والجوهري، الصحاح. وابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المخصص، =

- = دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، بلا تاريخ. والزنجشيري، أساس البلاغة، وابن منظور، لسان العرب. والفيروز أبادي، القاموس المحيط.
- (٢٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (هدي).
- (٢٥) انظر: أبو الفرج المعاني بن زكريا بن يحيى الجريدي النهرواني، (ت ٣٩٠هـ)، المجلس الصالح الكافي والناصح الشافعي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٣٧١.
- (٢٦) رواه الترمذي وقال: حيث حسن صحيح. انظر: الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨، كتاب الرضاع/ رقم الحديث ١١٦٣، ج ٤/ ص ٤٦٧، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ٢٤٤٦.
- (٢٧) النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧١هـ)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، عني بمقابلة أصوله والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، بلا تاريخ، ص ١٣٩.
- (٢٨) سناء ناجي المصرف، الوصايا الإسلامية، ص ٢١١.
- (٢٩) سناء ناجي المصرف، الوصايا الإسلامية، ص ٢١١.
- (٣٠) أبو حاتم السجستاني، المعمرين والوصايا، ص ١١٩.
- (٣١) أبو حاتم السجستاني، المعمرين والوصايا، ص ١٤٧-١٤٨.
- (*) تذكر ذلك صراحة سهام الفريخ بقولها: «فإن كنا لم نعرف على عصر بعض هذه الوصايا، فقد يمكننا القول بعد دراستها أن موضوعات هذه الوصايا ومعانيها واحدة، وقد ترد بعض المعاني بنفس صياغتها وبنفس أسلوبها في قضايا مختلفة، وذلك كقولهن: «كوني له أمةً يكن لك عبداً»، أو كقولهن في التزيّن: «إن الماء أطيب الطيب» و «إن الكحل أحسن الحسن». انظر: سهام الفريخ، فن الوصايا في الأدب العربي، ص ٣٦. ولا يبتعد محمد حور عن هذا إذ يقول بعد أن يذكر هذا التشابه بين الوصايا: «وهي واحدة لغةً وروحاً، وهي على أية حال، سواء كانت لواحدة أو أكثر، فإنها تنبئ بمشاعر القوم وأحاسيسهم ومناهجهم آنذاك في وصاياهم لأبنائهم». انظر: محمد حور، تربية الأبناء في الأدب العربي، ص ١٠٨. ويتابع الدليمي بالاتجاه نفسه يقول: «باستثناء بعض الوصايا المحدودة فإن مجمل وصايا الهداء أغلب تراكيبها وجمالها والصياغة الفنية فيها لا تختلف كثيراً من حيث شكلها ومضمونها، وكأنها صرف إلى وضع صيغة عملية للتوازن والتألف بين الزوجين، وتطفئ جذوة الخلاف».

- = أما وصايا الهداء في العصر الإسلامي فيصفها بقوله: «إنك لا تكاد تقف على شيء جديد ومتطور في وصايا الزواج يختلف عما درج عليه الموصون في العصر الجاهلي؛ فقد اتخذت الوصايا في العصر الإسلامي ذات المسار التقليدي وذات الأسلوب والتركيب الجملي في كثير من الأحيان». انظر: محمد الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/٨٧.
- (٣٢) انظر: حور: محمد، تربية الأبناء في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، مكتبة المكتبة، العين، أبو ظبي، ط ١، ١٩٨٠، ص ١٠٨.
- (٣٣) انظر: الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ٧٢-٧٣.
- (٣٤) ليس هذا اجتهاداً خاصاً للباحثة، وإنما دل عليه ما ورد عن الموصين في ذلك؛ وانظر مثلاً مقولة أسماء بن خارجة الفزاري لابنته هند حين زوّجها من الحجاج بن يوسف: «يا بنية، إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة؛ فعليك بأطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الكحل،....» انظر: الأغاني ١٨/١٢٨. وكذا مقولة أبي الأسود لابنته وهو يوصيها ليلة هداها: «يا بنية، كان النساء أحق بأدبك مني، ولكن لا بد لي منه، يا بنية. إن أطيب الطيب الماء....» انظر: أبو حاتم السجستاني، المعمرين والوصايا، ص ١٤٧-١٤٨.
- (٣٥) حباشة، صابر محمود، الأسلوبية والتداولية: مداخل لتحليل الخطاب، دار عالم الكتب الحديث، إربد، ط ١، ٢٠١٠، ص ١١٧.
- (٣٦) غاليم، محمد، المعنى اللغوي والتصورات، فصل في كتاب: «لسانيات النص وتحليل الخطاب»، من بحوث المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجمعية المغربية لللسانيات النص وتحليل الخطاب، جامعة ابن زهر/كلية الآداب والعلوم الإنسانية/أغادير/المغرب، دار كنوز المعرفة، عمان، ط ١، ٢٠١٣، ج ١/٦٢.
- (٣٧) مسيس، رياض، مشروع جون ميشال آدم: مقارنة نظرية، فصل في كتاب: «لسانيات النص وتحليل الخطاب»، من بحوث المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجمعية المغربية لللسانيات النص وتحليل الخطاب، جامعة ابن زهر/كلية الآداب والعلوم الإنسانية/أغادير/المغرب، دار كنوز المعرفة، عمان، ط ١، ٢٠١٣، ج ١/٢٣١.
- (٣٨) نوسي، عبد المجيد، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٣٠١.
- (٣٨) بحيري، سعيد، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٣٢.

(٤٠) الميساوي، خليفة، لسانيات النص بين اللسانيات العربية واللسانيات الغربية الحديثة، فصل في كتاب: «لسانيات النص وتحليل الخطاب»، من بحوث المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجمعية المغربية للسانيات النص وتحليل الخطاب، جامعة ابن زهر/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ أغادير/ المغرب، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٣، ج١/٢٤٣-٢٤٨.

(41) Brown. Gilian & Youl. George, Discourse Analysis, Cambridge University Press, 7th Edition, 1988, P.2

(٤٢) فاركلوف، نورمان، تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الاجتماعي)، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٧.

(٤٣) المرجع السابق، ص١٩.

(٤٤) مداس، أحمد، لسانيات النص: نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، دار عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٧، ص٥٦.

(٤٥) الحميري، عبد الواسع، ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص١٩.

(٤٦) خليفة الميساوي، لسانيات النص بين اللسانيات العربية واللسانيات الغربية الحديثة، ج١/٢٤٩ ص٢٤٩
(٤٧) عياشي: منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط٢، ٢٠٠٢، ص٥٥.

(٤٨) العبد: محمد، النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع، فصل في كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، ط١، دار عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠، ج٤/ ص٣.

(٤٩) انظر: الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج١/ ص١٧.

(٥٠) محمد حور، تربية الأبناء، ص١٢٦.

(٥١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٨/١٢٨. و ٢٠/٣٣٣. والجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١٩٧٩، ج١/٢٤٥. وابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الخراساني (ت٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط١، ١٩٨١، ص ١٧٧-١٧٨. والقرطبي: الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرانمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، مهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨١، ج٢/٥٦.

(٥٢) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٦، مجلد ٢/ ص ٧٧. وأبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٨ ص ١٢٨. وأبو حاتم السجستاني، المعمرن والوصايا، ص ١٤٧-١٤٨. وابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، بتحقيق عبد المجيد الدحني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧، ج ٤، ص ١٨.

(*) من ذلك ما ورد عن عامر بن الطرب العدواني حين زوّج ابنته نعمة إلى ابن أخيه عامر بن الحارث إذ قال لأمها ماوية بنت عوف بن فهر: «مري ابنتك فلا تنزلن فلاة إلا معها ماء، وأن تكثر استعماله فلا طيب أطيب منه، وإن الماء جعل للأعلى جلاء وللأسفل نقاء، وإياك أن تميلي إلى هোক ورأيك. إن العشق حلو وإن الكرامة المؤاتاة. ومريها فلا تمزحنّ معه بنفسه؛ فإن ذلك يكون منه الانقباض». انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٧١/٤. وأبو حاتم السجستاني، المعمرن والوصايا، ص ٦٠-٦١. والزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧، ص ٣٠٧. وابن سعيد المغربي: علي بن موسى بن محمد (ت ٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأفضى، عمان، ط ١، ١٩٨٢، ص ٤٨.

(٥٣) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ٦٤.

(٥٤) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ص ٦٣-٦٤.

(٥٥) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ص ٦٣-٦٤.

(٥٦) محمد حور، تربية الأبناء في الأدب العربي القديم، ص ١٢٦.

(٥٧) سهام الفريح، فن الوصايا في الأدب العربي القديم، ص ٣٨. وسناء ناجي المصرف، الوصايا الإسلامية، ص ٢١١.

(٥٨) ابن الجوزي: الحافظ عبد الرحمن بن علي الجوزي الفقيه (ت ٥٩٧هـ)، كتاب أحكام النساء، تحقيق ودراسة وتعليق علي بن محمد بن يوسف الحمدي، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ إدارة الشؤون الإسلامية/ دولة قطر، ط ٢، ١٩٩٣، ص ٣١٠.

(٥٩) فان يمرين وروب غروتندورست، فصل في كتاب «الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة»، ترجمة ياسين ساوير المنصوري، دار عالم الكتب الحديث، إربد، ط ١، ٢٠١٠، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، ج ٥/ ١٩٧.

(*) من أمثلة التجلي الناجح لوصية الهداء ما أورده الرواة عن نجاح أم إياس ابنة أمامة بنت الحارث في حياتها الزوجية؛ ومن ذلك قولهم: «فلما حملت إليه غلبت على أمره، وولدت =

- =منه سبعة أملاك ملكوا من بعده» انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٦/٨٣-٨٤. ومن أمثلة الإخفاق ما أوردوه من طلاق ابنة عامر بن الظرب بعد وقت قصير من زواجها من ابن عمها، وجاء في خبرها: «فلم تلبث إلا شهراً حتى جاءته (والدها) مشجوجة» انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلد الثاني، ج ٤/ص ٧٦.
- (٦٠) من ذلك الوصية التي نقلها الوشاء صاحب (الفاضل) عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: «زوّجت أعرابية ابنتها فلما أرادت أن تهديها قالت:.....». وتلك التي نقلها أيضاً عن محمد بن يزيد قال: «أخبرني الحسن بن عبدالرحمن قال: «أوصت أعرابية ابنة لها ليلة هداها، فقالت: سليلة السادات...» انظر: الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى (ت ٣٢٥ هـ)، الفاضل في صفة الأدب الكامل، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ص ٢٢٢-٢٢٤. ومنه أيضاً ما أوردته التجاني نقلاً عن أبي الريحان قال: «من هذا الباب (الهداء) قول أخرى لابنتها:.....». انظر: التجاني، عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم (ت ٧٢١ هـ)، تحفة العروس ونزهة النفوس، حققه وهذبه وعلق عليه محمد إبراهيم الدسوقي، مكتبة ابن سينا، القاهرة، بلا تاريخ، ص ١٢٠.
- (٦١) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٧٧-١٧٨.
- (٦٢) أحمد يوسف خليفة، قراءة في أدب الوصايا، ص ٥٨.
- (٦٣) من ذلك وصايا أبي النجم الراجز لبناته، ومنها قوله موصياً ابنته برة:
 أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةٍ قَلْبًا حُرًّا بِالْكَلْبِ حَيْرًا وَالْحَمَامَةَ شَرًّا
 لَا تَسْأَمِي ضَرْبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى تَرَى خُلُوقَ الْحَيَاةِ مُرًّا
 وَإِنْ كَسَنْتِكَ ذَهَبًا وَدُرًّا وَالْحَيَّ عَمِّيهِمْ بِشَرِّ طُرًّا
 انظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٠/١٦٣-١٦٥.
- (٦٤) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ص ٨٧.
- (٦٥) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ص ٦٣. وانظر أيضاً في هذا: سناء ناجي المصرف، وصايا الآباء إلى أبنائهم، ص ٢١١.
- (٦٦) أبو حاتم السجستاني، المعمرين والوصايا، ص ٦٠.
- (٦٧) انظر: الخطابي: محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ص ٤٥. ويقصد بالبنية العليا التقاليد المائزة لجنس قولي معين.
- (٦٨) الوشاء، الفاضل، ص ٢٢٣.

(*) الإستراتيجية المباشرة في الخطاب هي أن يعبر المرسل عن قصده بصورة واضحة، لينجز بالخطاب ما يريد دون القيام بعمليات استدلال مركبة ومتوالية. انظر: الشهري: عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١١٧.

(٦٩) انظر: الوشاء، الفاضل، حاشية المحقق رقم (٢) في صفحة ٢٢٣.

(*) الإستراتيجية التوجيهية في الخطاب تكثر في سياقات النصح والتحذير؛ إذ يولي المرسل عنايته لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي بإغفال جانب التآدب التعامللي الجزئي في الخطاب، ويفرض من خلاله قيده على المرسل إليه بشكل أو بآخر وإن كان القيد بسيطاً، أو أن يمارس عليه فضولاً خطيبياً، أو أن يوجهه لمصلحته بنفعه من جهة وبإبعاده عن الضرر من جهة أخرى. ومن هذا المنطلق فإن الخطاب ذا الإستراتيجية التوجيهية يعدّ ضغطاً، ولو بدرجات متفاوتة، على المرسل إليه، وتوجيهه لفعل مستقبلي معين. انظر: الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص ٣٢٢.

(٧٠) عادل، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع، في المناظرة، منشورات ضفاف، دار الأمان، الرباط، ط ١، ٢٠١٣، ص ٢١٤.

(٧١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (جلل).

(٧٢) أرمينكو، فرانسواز،، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط ١، بلا تاريخ، ص ٤٣.

(٧٣) الوشاء، الفاضل، ص ٢٢٢.

(٧٤) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص ٩٠.

(٧٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أرم).

(٧٦) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع، ص ٢١٤.

(٧٧) عياشي، منذر، (إعداد وترجمة)، العلاماتية وعلم النص، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١١١.

(٧٨) منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ص ١٧٠.

(*) هذه الوصية تشبه كثيراً وصية نسبها الجاحظ في البيان والتبيين لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب يوصي بها ابنته يقول: «يا بنية، إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك والمعاتبة فإنها تورث البغضة، وعليك بالزينة والطيب، واعلمي أن أزين الزينة الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء» انظر: الجاحظ، البيان والتبيين ١/٢-٩١-٩٢. وكذا تتشابه مع وصية منسوبة=

=لأبي الأسود الدؤلي يوصي بها ابنته (في إحدى الروايات) يقول: «إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة وأزين الزينة الكحل، وعليك بالطيب وأطيب الطيب إسباغ الوضوء، وكوني كما قلت لأمك:....» انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلد الثاني، ج ٤/ص ٧٧. وكذلك وصية أسماء بن خارجة الفزاري يوصي ابنته هنداً حين زوّجها من الحجاج بن يوسف قال: «يا بنية إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة؛ فعليك بأطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الكحل، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها قطيعة للود، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وكوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، واعلمي أي القائل لأمك:....» انظر: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ١٨/١٢٨. فنلاحظ مدى التقارب والالتقاء بينها، وقد سبق أن وقفنا عند مسألة التشابه بين وصايا الهداء في التراث العربي وأسبابها وآراء الدراسين فيها. وقد اختارت الباحثة هذه الرواية لأن المرسلات من الأمهات أولاً، ولوجود خلاف بين الروايات، ولو كان يسيراً، يسمح بالقول إنها وصايا مختلفة لا وصية واحدة.

(٧٩) الوشاء، الفاضل، ص ٢٢٥.

(٨٠) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نصح).

(٨١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢/٤٥. والأغاني، ١٨/١٢٨.

(٨٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢/٩١-٩٢ والأغاني، ١٨/١٢٨.

(٨٣) الآبي: الوزير الأديب أبو سعيد منصور بن الحسين (ت ٤٢٢هـ)، نثر الدر، تحقيق خالد

عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، مجلد ٣/ص ١٧٠.

(*) من ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط» انظر: النووي، رياض الصالحين، ص ٣٩٧.

(٨٤) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٣٠هـ)، الجماهر في معرفة الجواهر، مطبعة جمعية

دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط ١، ١٣٥٥هـ، ص ١٩.

(٨٥) سعيد بنكراد، سياق الجملة وسياقات النص: الفهم والتأويل، المجلد الثاني/ص ٦٧٣.

(٨٦) التجاني، تحفة العروس، ص ١٢٠.

(٨٧) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع، ص ٦٣.

- (*) الفتحاء: من ارتفعت أخلافها قبل بطنها. العجزاء: الكبيرة العجز، وهو مؤخرة المرأة. انظر: لسان العرب، مادتا: (فتخ) و (عجز).
- (*) المرء: كثرة الجدل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرأ)
- (٨٨) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٧٧-١٧٨ وانظر: الآبي: نثر الدر، مجلد ٤/ ص ٦٢-٦٣.
- (٨٩) سيبويه: أبو بشر عمرو بن قنبر (ت ١٨٠ هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨، ج ١/ ص ١٣٩.
- (٩٠) ابن منظور، لسان العرب، مادة (مري)
- (٩١) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع، ص ٩١.
- (*) مما يدل على ذلك مثلاً: ما ورد في وصية عامر بن الظرب لابنته، فإنه قال لأمها: «مري ابتك ألا تنزل مفازة إلا ومعها ماء؛ فإنه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء» انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلد الثاني ج ٤/ ص ٧٦. كما أن معمري العرب حرصوا على توصية أبنائهم بأن تحرص نساؤهم على الماء والكحل؛ ومن ذلك ما أوصى به محمد بن عبد الله بن حسن ابنه، فقال: «واعلمنا أن لن تسقط امرأة واظبت على ثلاث خلال: الماء والسواك والكحل، فعليكما بهن» انظر: ابن عبد البر القرطبي، بحجة المجالس، القسم الثاني، ص ٣٠-٣١.
- (*) مما يدل على ذلك مثلاً: ما ورد في وصية عامر بن الظرب لابنته، فإنه قال لأمها: «مري ابتك... وألا تكثري من مضاجعته؛ فإنه إذا مل البدن مل القلب، ولا تمنعه شهوته؛ فإن الخطوة في الموافقة» انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلد الثاني ج ٤/ ص ٧٦. وفي رواية أخرى: «وأخبري ابتك أن العشق حلو وأن الكرامة المؤاتاة، فلا تستكرهنّ زوجها من نفسها، ولا تمنعه عند شهوته؛ فإن الرضا الإتيان عند اللذة، ولا تكثري مضاجعته فإن... ومريها فلتخبئي سوأتهما منه فإنه، وإن لا بد أن يراها، فإن كثرة النظر إليها استهانة وخفة». انظر: السجستاني، المعمرين والوصايا، ص ٦٠.
- (٩٢) بودرع، عبد الرحمن، في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي: قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر، دار كنوز المعرفة، عمان، ط ١، ٢٠١٥، ص ١٣.
- (٩٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلد الثاني ج ٤/ ص ٧٧. وفي رواية التجاني تحتم الموصية كلامها ب: «فإن صبر فاجعلي الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك». انظر: التجاني، تحفة العروس ص ١١٤. وانظر كذلك الرواية عند العاملي، بماء الدين محمد بن حسين العاملي (ت ١٠٠٣ هـ)، المخلاة، نسقته وفهرسه ووضع هوامشه محمد خليل الباشا، دار عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٥، ص ١٤٨.

- (٩٤) التجاني، تحفة العروس، ص ١١٤.
- (٩٥) انظر: الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ٧٢.
- (٩٦) انظر مثلاً: سناء ناجي المصرف، الوصايا الإسلامية، ص ٢١٣. والدليمي في جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ٧٢.
- (٩٧) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ٧٢.
- (٩٨) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ص ٧٢.
- (٩٩) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ٧٢.
- (١٠٠) الدليمي، جمهرة وصايا العرب، ج ١/ ص ٧٢.
- (١٠١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (زجج).
- (١٠٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سنن).
- (١٠٣) التجاني، تحفة العروس، ص ١١٤.
- (١٠٤) لسان العرب، مادة (قرر).
- (١٠٥) التجاني، تحفة العروس، ص ١١٤.
- (١٠٦) قال ابن منظور: الإكاف من (أكف) أو (وكف) والإكاف والأكاف من المراكب شبه الرجال والأقتاب. وزعم يعقوب أن همزته بدل من واو: وُكاف ووكاف والجمع أكفة وأكُف كإزار وأزره وأزر وقال غيره: أكاف الحمار وإكافه ووكافه والجمع أكف وقيل في جمعه وُكف. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أكف).
- (١٠٧) انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، المقدمة. وأنيس: إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٦٤.
- (١٠٨) حباشة، صابر محمود، قضايا في السيمياء والدلالة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١٥، ص ٣٩.
- (١٠٩) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع، ص ٩٦.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

- الآبي: الوزير الأديب أبو سعيد منصور بن الحسين (ت ٤٢٢هـ)، نشر الدر، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤.
- الأبشيهي: بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٥٤هـ)، المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق إبراهيم صالح، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩.
- أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط ١، بلا تاريخ، ص ٤٣.
- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ) معجم تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط ١، دار الصادق للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠.
- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين القرشي (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد علي مهنا، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- الأصفهاني: الراغب أبو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط ١، دار الآثار، بيروت، ١٩٨٠.
- الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت ٢١٧هـ) تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط ١، منشورات المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٥٩.
- أنيس: إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط ١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٠.
- أنيس: إبراهيم، وزملاؤه، المعجم الوسيط، إشراف حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣.
- بحيري، سعيد، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٣٢.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٣٠هـ)، الجماهر في معرفة الجواهر، ط ١، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٥هـ.
- بودرع، عبد الرحمن، في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي: قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر، ط ١، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٥.

- التجاني، عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم (ت ٧٢١ هـ)، تحفة العروس ونزهة النفوس، حققه وهذبه وعلق عليه محمد إبراهيم الدسوقي، مكتبة ابن سينا، القاهرة، بلا تاريخ.
- الترميني: عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام: دراسة مقارنة في مجال التاريخ والآداب والشريعة، ط ٢، دار القلم العربي، حلب، ١٩٨٩.
- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨.
- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٩.
- الجرجاني: علي بن محمد (ت ٥٨٤ هـ)، التعريفات، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- ابن الجوزي: الحافظ عبد الرحمن بن علي الجوزي الفقيه (ت ٥٩٧ هـ)، أحكام النساء، تحقيق ودراسة وتعليق علي بن محمد بن يوسف المحمدي، ط ٢، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ إدارة الشؤون الإسلامية/ دولة قطر، ١٩٩٣.
- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨ هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.
- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ)، شرح نهج البلاغة، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥.
- حباشة، صابر محمود، الأسلوبية والتداولية: مداخل لتحليل الخطاب، دار عالم الكتب الحديث، إربد، ط ١، ٢٠١٠، ص ١١٧.
- حباشة، صابر محمود، قضايا في السيمياء والدلالة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١٥، ص ٣٩.
- الحميري، عبد الواسع، ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١٩.
- حور: محمد، تربية الأبناء في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، ط ١، مكتبة المكتبة، العين، أبو ظبي، ١٩٨٠.
- الخزاعي: دعبل بن رزين (ت ٢٤٦ هـ) كتاب وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، تحقيق نزار أباطة، ط ١، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٧.

- الخطابي: محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١.
- خليفة: أحمد يوسف، قراءة في أدب الوصايا، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨.
- الدليمي، محمد نايف، جمهرة وصايا العرب، ط ١، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩١. (ثلاثة أجزاء).
- ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير البعلبكي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.
- الزبيدي: المرتضى أبو الفيض محمد بن محمد (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإعلام/ الكويت، ١٩٧٤.
- والزنجشيري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ) أساس البلاغة، ط ١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦.
- والزنجشيري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، المستقصى في أمثال العرب، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.
- السجستاني: أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت ٢٤٨هـ)، المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١.
- وابن سعيد المغربي: علي بن موسى بن محمد (ت ٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، ط ١، مكتبة الأفضى، عمان، ١٩٨٢، ص ٤٨.
- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (٢٤٤هـ) إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩.
- سيبويه: أبو بشر عمرو بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المخصص، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٤.
- الشيباني: أبو بكر تقي الدين بن علي بن عبد الله (ت ٧٩٧هـ)، الدرر المضية في الوصايا الحكمية، تحقيق ودراسة صلاح الدين خليل، مطبعة الفردوس، ١٩٨٩.

- ابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الخراساني (ت ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط ١، دار الفضيحة، القاهرة، ١٩٨١.
- عادل، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع، في المناظرة، ط ١، منشورات ضفاف، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٣.
- العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ت ١٠٠٣هـ)، المخلاة، نسقته وفهرسه ووضع هوامشه محمد خليل الباشا، ط ١، دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.
- ابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، بتحقيق عبد المجيد الدحني، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٢، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٨.
- علوي، حافظ إسماعيل، (إعداد وتقديم)، الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط ١، دار عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠.
- عياشي: منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط ٢، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ٢٠٠٢.
- عياشي، منذر، (إعداد وترجمة)، العلاماتية وعلم النص، ط ١، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ٢٠٠٩.
- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.
- فاركلوف، نورمان، تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الاجتماعي)، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٧.
- الفراهيدي: الخليل بن أحمد (١٧٠هـ)، العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- الفريخ: سهام، فن الوصايا في الأدب العربي القديم، ط ١، مكتبة المعلا، الكويت، ١٩٨٨.
- والفيروز أبادي: محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) القاموس المحيط، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.
- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

- والقرطبي: الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١.
- أبو ليلى، فرج محمود، تاريخ الوصايا، ط ١، مكتبة دار الثقافة، عمان، ١٩٩٧.
- المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجمعية المغربية للسانيات النص وتحليل الخطاب، جامعة ابن زهر/كلية الآداب والعلوم الإنسانية/أغادير/المغرب، ط ١، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٣.
- مداس، أحمد، لسانيات النص: نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، دار عالم الكتب الحديث، إريد، ٢٠٠٧، ص ٥٦.
- المصرف: سناء ناجي، وصايا الآباء إلى أبنائهم خلال عشرة قرون: دراسة ونصوص، بغداد، بلا تاريخ.
- المصرف: سناء ناجي، الوصايا الإسلامية، ط ١، الدار العربية للموسوعات، بغداد، ٢٠٠٢.
- مصطفى: أحمد أمين، أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠.
- المعافي بن زكريا: أبو الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني، (ت ٣٩٠هـ)، الجليس الصالح الكافي والناصح الشافي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.
- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠.
- ابن منقذ: أسامة (ت ٥٨٤هـ)، لباب الآداب، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١، دار الكتب السلفية، القاهرة، ١٩٨٧.
- الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.
- المودن، حسن، بلاغة الخطاب الإقناعي: نحو تصوّر نسقي لبلاغة الخطاب، ط ١، داركنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٤.

- ناصيف، إميل، أروع ما قيل من الوصايا، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.
- نوسي، عبد المجيد، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٣٠١.
- النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧١هـ)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، عني بمقابلة أصوله والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.
- الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى (ت ٣٢٥هـ)، الفاضل في صفة الأدب الكامل، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١.

ثانيا: المراجع الإنجليزية

- Brown. Gilian & Youl. George, Discourse Analysis, 7th Edition, Cambridge University Press, 1988.